روايات

غدير ٢٠٠٠

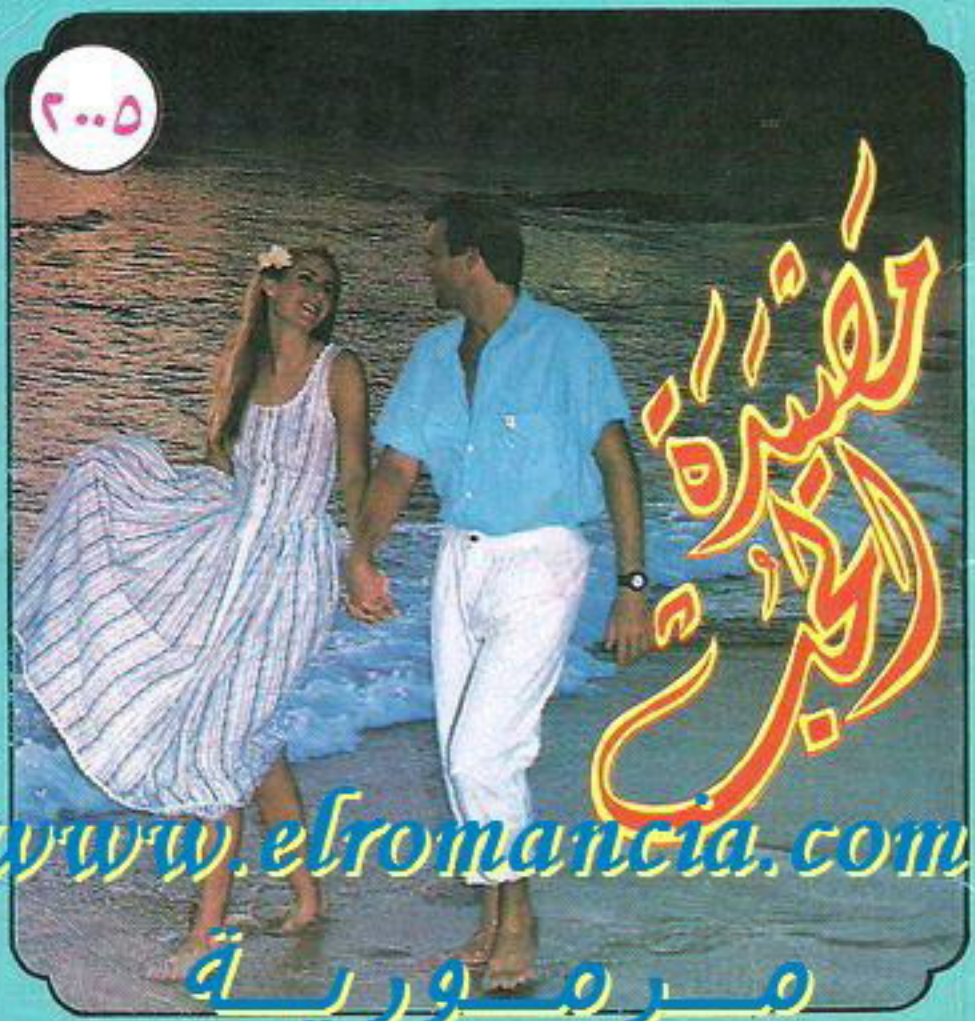

الفتنة الأخيرة

www.elromancia.com

مصورة

تأليف : باربارا كارتلاند

ترجمة : محمد عبد المنعم جلال

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

مَصْيَدَةُ الحُبّ

حاول البنات الثلاث الايقاع بحب الدوق فى واحدة منهن - الدوق رجل زكى ولماح إلى اقصى حد - له نظرة ثاقبة في الحب .

كان الحب قوياً بينهن ، حب لايعرف المستحيل . ولكن كانت العزيمة والارادة اقوى من كل شيء .

****

دار الكتاب العربي / رياض الصبك
دمشق: الخلبوني - تلكس ٤١١٥٤١ - هاتف ٢٢٣٥٤٠١
القاهرة: ٥٢ ش عبد الخالق ثروت، شقة ١١
ت + فاكس ٣٩١٦١٢٢ - ٣٦٩٤٤٤٨

www.elroshancia.com

الفصل الاول

عادت لينا كريسنجتون كومب إلى بيتها عبر الغابة ، وهى تدندن .

كان يوماً مشمساً ، من أوائل شهر أبريل ، والبراعم تضفى لمسة خضراء رقيقة على الاغصان ، وقطرات الندى الاولى تتوهج فوق بساط من الاوراق تحت الاشجار .

أحست بأنها سعيدة . ونسيت فى تلك اللحظة متاعبها فى القصر ، ولم تكن بها أية رغبة فى أن تتذكر عشرات الامور التى تنتظرها .

كانت قد هربت من القصر بعد الافطار ، فقد كان أبوها فى أسوأ حالاته لانه أفرط فى الشراب فى الليلة الماضية .

ذلك أنه بعد أن ماتت أمها ، منذ سنتين ، وهو يحاول أن يواسى نفسه لفقدها بالشراب ولعب القمار .

قالت له أكثر من مرة أنه يضر صحته فى الوقت الذى يتعذر عليها فيه مواجهة أية خسائر على المائدة الخضراء .

وتوسلت إليه مئات المرات قائلة :

– أرجوك ياأبت ... أرجوك أن تلتزم جادة العقل .

وكان يعدها حتى يكون معتدل المزاج ، ويقول أنه لن يمضى بعد اليوم إلى لندن حيث ينتهى به الامر كل مرة إلى كارثة على موائد الميسر ، وأنه لن يبدد وقته وهو فى القصر مع سير هكتور ستايشن .

وكانت تمقت سير هكتور .

لم يكن ذلك بسبب تأثيره السيء على أبيها فحسب ، وانما لانه كان لاحقها منذ ستة أشهر بطريقة أثارت قلقها وهدرت أمنها كان قد ترمل منذ عشر سنوات ، وألف حياة العزوبية الى لاحقها لاول مرة منذ ستة شهور .

كانت قبل ذلك ، بالنسبة له ، مجرد طفلة يربت على رأسها عندما تدخل لرؤية أبيها ، ويقدم لها فى بعض المناسبات ثمرات من الخوخ من حديقته أو صندوقا من الشيكولاتة . وكانت تدرك بفطنتها طبعاً ، ان تلك الهدايا ليست مجرد مجاملات منه ، وانما لانه يريد اكتساب صداقة أبيها الايرل ، وهى صداقة كانت ترضى غروره ، رغم أن الايرل كان رجلاً فقيراً .

كان هكتور قد ورث لقب البارونية عن أبيه . وكان هذا الاخير قد اكتسبه بفضل نجاحه الكبير فى التجارة . ولكن

العائلات الارستقراطية رفضت الاعتراف بارستقراطيته ، وسدت ابوابها أمامه رغم ثرائه .

وكان سير هكتور قد تلقى دروسه فى مدرسة لها شهرتها ويتمتع بثروة طائلة ، فقد راوده الأمل فى أن يفتح له الذين اعرضوا عن ابيهم أبوابهم . ولكن ذلك الأمل لم يتحقق .

غير أنه لم يلبث أن أدرك فجأة أن المفتاح الذى يتيح له دخول ذلك المجتمع يكمن فى يد الفتاة الشابة الجميلة ، ابنة الرجل الذى يعتبره أصدق صديق له .

وعندما عرض نيته على لينا حدقت فيه فى ذهول وهى لاتكاد تصدق أذنيها ، فقد كان سير هكتور فى الأربعين من عمره ، وهو فى نظرها من جيل أبيها ، ولم يخطر ببالها أبداً أن يكون فارس أحلامها الذى توقعت لها أمها أن تلتقى به ذات يوم ، وكانت قد قالت لها :

– انك أصبحت جميلة جداً يابنتى ، ومنای الوحيد أن نستطيع ، أنا وأبوك ، ان نقيم لك حفلة راقصة جديرة بك .

ثم تنهدت واستطردت تقول : ولكننى أخشى ألا تكون بجمال الحفلة الراقصة التى أقيمت من أجلى وأنا فتاة ، يبد أن صالة الرقص البارونية الكبرى تبدو فى غاية الروعة حين تضاء

www.elromancia.com

الشمعة اناث ، وأنا على ثقة من أن دعوات العشاء سوف تنهال عليك أثناء الحفلة .

ابتسمت لينا وقالت : اننى واثقة من ذلك ياأماه . ولكن يجب ان تتحسن صحتك أولاً .

غير أن أمها ازدادت ضعفا على ضعف ، ثم ماتت فى آخر السنة ، وبدا الأمر بالنسبة للينا كان النور قد خبا من القصر ، ولم يعد فيه غير الظلام والديون .

وقالت تحدث نفسها بعد أن قدم لها سير هكتور عرضه : اننى أوثر أن أموت جوعاً .

ولكنها لم تلبث أن هزت كتفيها ، وقد أدركت بعد أن وضح الأمر الآن أنه سوف يلاحقها ، وأنه لن يرضى أبداً بكلمة " لا " .

كان يمتطى جواده كل يوم ويغادر قصره الفاخر الذى فرغ من بنائه . ويأتيها بهدايا كانت تتمنى أن ترفضها لولا أنها كانت تعرف ان ذلك قد يسبب ازعاجا لأبيها ، فقد كان يرد عليها عندما تلمح له ان سير هكتور يكثر من زياراته لهما ويقول : ان ستانديش صديق مخلص فلا تظنى به أى سوء .

– ولكننى لا أحبه يا أبت .

قال الايرل فى صوت قاطع : ولكنه يقدم لى خدمات كثيرة

.نظرت اليه فى اشفاق كبير وقالت : ماذا تعنى بقولك هذا ياأبت ؟ هل تستدين منه ؟ ... أوه .. أرجوك ألا تفعل .

أجابها : لاتتدخلى فى شئونى .

ولكنه تحاشى النظر اليها ، وتأكدت عندئذ أن النقود التى دفعها للخدم القلائل الذين مكثوا بالقصر ، والتى سدد بها الفواتير الملحة قد أتت من مصدر لم يصرح به أبوها ، ولم تأت من البنك .

لم تذكر لأبيها العرض الذى قدم سير هكتور ، ولكنها كانت على يقين من أنه لايجهل اهتمام صديقه بها .

وفكرت ، رغم عدم تأكدها من ذلك ان سير هكتور لم يكن يجهل الفارق الكبير بين سنيهما ، وأنه يخشى ان يثير سخرية الايرل منه لمثل هذا الطلب . وكانت تعرف أن فى ذلك سلامتها .

إلا أنها كانت تدرك فى نفس الوقت ان الموقف المالى لأبيها فى الشهور الأخيرة أصبح بالغ السوء رغم أنه لم يفصح لها بذلك .

كانت اذا سألته عن نقود لدفع المرتبات وتسديد فواتير التجار يهز يده ويقول : غدا ... أو الأسبوع القادم أو آخر الشهر .

ولكنها كانت تعرف أنه عندما يمضى كل ليلة إلى قصر

www.elromancia.com

سير هكتور ، ويعود مع اولى ساعات النهار ، كان يلعب القمار مع أصدقاء السوء المجانين الذين يحيط سير هكتور نفسه بهم .

ولم تكن بحاجة للأصغاء إلى الشائعات المحلية التى تقول إن اولئك الاصدقاء ينتمون إلى الطبقة التى لم تكن أمها ترتاح إليها .

وكان يختلف إلى قصره أيضاً ضيوف من لندن .. رجال ونساء ، كانت سيدات المقاطعة لترضى ان تفتح بيوتهن لهم .

وقد قال لينا ذات مرة : اننى اعرف تماماً ان نساء القرية الصارمات المشاكسات لايحببننى أبداً ، ولكن سوف يتغير الأمر عندما نتزوج . إن القصر يحتاج إلى سيدة قديرة محترمة ، وسوف تضيفين انت عليه سمة الاحترام اذا ما أقمت فيه .

ورغم صغر سنها ، ورغم ان مجرد تلك الفكرة ما كانت إلا لتثير فزعها فأنها كانت تدرك ان سير هكتور لايغازلها عن ود وحب وإنما على أمل أن يستفيد من الوضع الاجتماعى الذى سيكتسبه هو بالذات من وضعها بزواجه منها ، اذا لم يكن هناك من أهالى المقاطعة كلها من لم يحب أمها . وكانت أسرتها من أقدم الأسر العريقة ، ولكن الذين سدوا أبوابهم فى وجه سير هكتور استهجنوا آل والنجهام لمصادقتهم له .

سمعت ذات يوم الدوقة دورست تقول لأمها : يجب وضع حد لهذا الأمر . اننى قلت لزوجى إننى لن استقبل فى بيتى ذلك الرجل العامى رغم سخائه على نادى الصيد وعلى الاعمال الخيرية .

وافقتها أمها على ذلك ، ولكن فى غير تحمس ، فقد كانت من الرقة بحيث لايمكن أن تعامل أى أحد بغلظة أو خشونة . ولكنها حرصت على ألا تدعو سير هكتور إلى حفلات العشاء القليلة التى أقامتها . ولم يذهب ذلك الأخير إلى القصر إلا بعد وفاتها . وذلك لتعزية زوجها ، ثم كان من المستحيل ابعاده بعد ذلك .

وتذكرت ان سير هكتور كان مملاً جداً فى اليوم السابق . وأنه قال لها :

– اننى انوى الزواج بك يالينا ، وكلما عجلت بالقبول كان ذلك أفضل .

– إننى أسفة ياسير هكتور ، ولكنك تعرف رأيى .

– بالله يافتاة ، هل تدركين ما أقدمه لك ؟ ستحصلين على أفخر الثياب من أحسن بيوت الأزياء ، وعلى مجوهرات سوف تغبطك عليها أية امرأة أخرى ، وعلى جياد كريمة لاتحلم بها أية امرأة فى المقاطعة .

قالت لينا فى هدوء : يجب أن تفهم ياسير هكتور اننى عندما أتزوج ، فسوف أتزوج الرجل الذى أحبه ، ولايهمنى ماقد يقدمه لى .

أجابها سير هكتور : انت صغيرة جداً بحيث لاتعرفين شيئاً عن الحب ، ولكننى سأعلمك كيف تحبيننى .

نطق بتلك الكلمات بطريقة أقشعرت لها الفتاة . ونظرت إلى وجهه الخشن وإلى الغضون التى تحيط بعينيه ، ولاحظت شعره الذى بدأ يخوطه المشيب .

كان رجلاً عجوزاً ، وجعلتها فكرة الزواج به تشعر باشمئزاز لم تستطع اخفاءه . وقالت :

- إننى أعلم أنك تريد أن تكون ظريفاً ياسير هكتور ، ولكن أرجوك أن تتقبل حقيقة اننى لن أتزوجك . ولاتأتنى بالمزيد من الهدايا .

بدأ يحتج بعنف ، وصاح تقريباً بأنها لن تفلت منه ، لأنها لم تستطع الاستماع اليه ، ولت هاربة .

ورأت الآن أنها بدلا من أن تهرب كان الأولى بها أن تطلع أباها على ماحدث ، وتطلب منه أن يبعد سير هكتور عنها .

وانتهت الغابة ، ورأت القصر أمامها أخيراً .

ولما كانت مواردها الحالية لا تسمح لهما بالاحتفاظ بالبستانيين فيما عدا ايفر ، وهو رجل قضى فى خدمتهم أكثر من أربعين عاماً ، فقد امتدت يد الاهمال إلى الحدائق ، ونمت فيها الاعشاب الضارة حتى أصبح من المتعذر التخلص منها .

ولكن ازهار النرجس كانت ذهبية اللون بين الأعشاب ، تحت الأشجار . والزعفران الذى زرعته أمها كان قصيدة من الألوان فى كثير من الأحواض لن تلبث يد الاهمال أن تمتد اليها هى الأخرى .

نظرت لينا إلى القصر وهى تفكر كيف بقى قروناً عديدة وآل والنجهام يقومون أثناءها بدورهم فى تاريخ انجلترا .

وكانت لاتزال تدندن ، سعيدة ، لنفسها ، وهى تقترب من السور الأول . واذ تجاوزته وبلغت نافذة غرفة المكتبة ، وكانت مفتوحة ، سمعت أصواتاً ، فدفعتها غريزتها إلى التوقف بجوار النافذة ، وسمعت أباها يقول :

- لم تكن لدى أية فكرة عن شعورك هذا نحو لينا .

- ألم تقل لك اننى عرضت عليها أن تتزوجنى ؟

- كلا .

- حسناً . أظن ان هذه الفتاة الماكرة تحاول التلاعب معى

www.elromancia.com

والهرب منى ، ولكن مهما يكن من أمر سمعتى فاننى سأكون زوجاً طيباً ، وسأودع لحسابها فى البنك خمسة وعشرين ألف جنيه فى اليوم الذى تتزوجنى فيه .

كتمت لينا أنفاسها ، وانغرزت أصابعها فى كفها إلى حد أن أظافرها كسرت لحمها الرقيق . واستطرد سير هكتور يقول :

– وسأسدد كل ديونك فوق ذلك ، واوقف عليك معاشاً طيباً يتيح لك ترميم تلك الأطلال التى توشك أن تنهار .

وساد صمت قصير راحت لينا تتمنى أثناءه أن يقول أبوها لسير هكتور أنه لايرتشى وان لاحق له فى ان يتكلم عن قصره بهذه الطريقة المشينة . ولكن الايرل لم ينبس بكلمة . وعاد سير هكتور يقول :

– هيا واعترف بأننى كريم . انك مدين لدافيد سون بمبلغ الفين من الجنيهات وانك خسرت أمس . ثم اننى أعلم أيضاً انك مدين لهاثون بمبلغ الف جنيه أخرى أو أكثر . وهما يتوقعان منك أن تسددها لهما خلال شهر ، ان لم يكن قبل ذلك .

قال الايرل فى صوت ينطق بالمرارة : اننى كنت سىء الحظ فى الأيام الأخيرة .

اجابة سير هكتور : انك تفرط فى الشراب بحيث لم تعد

تستطيع التركيز فى اللعب . ثم اننى أعرف أنك تمر بضائقة شديدة هذه الأيام . ولكن هون عليك وأبشر .

وضحك ، ثم اردف : عندما تغدو صبرى سيكون لك رصيد ضخم فى البنك كما لعلك تعلم .

سمعت لينا فى هذه اللحظة حركة خفيفة فى غرفة المكتبة ادركت منها ان سير هكتور قام عن مقعده استعداداً للانصراف . وقال :

– يجب أن أنصرف الآن . قل لليما عندما تعود اننا سنتزوج فى أوائل يونيه . وسيتيح لها ذلك الوقت لكى تجمع جهازها ، وأنا الذى سأدفع ثمنه بالطبع .

– يبدو انك شديد الثقة من نفسك .

أجاب : طبعاً . اذ ماذا يمكنك أن تفعل فيما عدا القبول ياوالنجهام ، وانك لتكون أحمق اذا لم تر ان فى ذلك مصلحة كبيرة لك .

وكانت كلماته الأخيرة بعد ذلك تكاد تكون غير واضحة . وأدركت لينا أن سير هكتور غادر الغرفة ، وانه لن يلبث أن يمر بالطرقة التى أمام القصر .

انتظرت بضع دقائق قبل أن تتجاوز النافذة ، ثم دخلت

www.elromancia.com

البيت من أحد أبواب الحديقة ، واسرعت عبر درج ثانوى الى مخدعها بالطابق الأول .

كانت قد نامت دائماً فى احدى غرف الابراج الآن ذلك كان يفتنها وهى طفلة . أما الآن ، وبعد أن أصبح القصر كله تحت اختيارها فقد انتقلت إلى الغرفة الصغيرة الجميلة التى طالما أحبته . كان بها نافذتان . تطل احداهما على الحديقة والغابة التى أقدمت منها منذ لحظات ، فى حين تطل الأخرى على الطريق المؤدى إلى الشارع والى الأشجار الضخمة .

عبر الغرفة واختبأت خلف الستائر ، وراحت تنظر نحو الباب العمومى .

كان سير هكتور يرفع نفسه فى شىء من الصعوبة ، لأنه ضخم الجثة ، فوق صهوة جواد جميل يمسك خادم بعنانه ، وكان قد اقبل معه .

كان يرافقه دائماً أحد الخدم ويحمل معه الهدايا التى كان يأتى بها لينا .

وكان سير هكتور ينظر فى هذه اللحظة الى الايرل . وقال له : الى الملتقى ياوالنجهام . لاتنسى أن تنقل رسالتى للينا .

ورفع سوطه ولمس به حافة قبعته ثم ابتعد وعلى شفتيه

ابتسامة راضية . وفيما هى تنظر الى الجواد وهو ينطلق فى الطرقة ادركت انها تكرهه كرهاً عنيفاً لم تحس به نحو أحد فى حياتها قط . وكان الاحساس من العنف بحيث شعرت أن ساقيها تكاد ان تخذلاها ، فجلست فوق الفراش لكى تفكر . لم تستطع ان تشك فى أن ابتسامة سير هكتور وهو خارج من القصر كانت ابتسامة انتصار .. ابتسامة رجل تغلب على كل العقبات التى تحول بينه وبين الشىء الذى يطمع فيه .

وقالت تحدث نفسها :

- لا استطيع أن أتزوجه ... لا أستطيع .

ثم تذكرت المبالغ التى يدين أبوها بها والمعاش الذى وعده به سير هكتور . وأثار ذلك قلقها أكثر من أى شىء آخر .

كيف استطاع أبوها أن ينحدر الى درجة ان يصبح خادما أجيراً لرجل كسير هكتور ستانديش .

أنها تعرف ان أباها كان طول عمره رجلاً ضعيف الارادة ، يستسهل قبول واقع الحياة ، وكانت أمها ، وحبه لها هما اللذان جعلاه يحتل مكانه اللائق فى المقاطعة رغم مواردهما الضعيفة .

أدركت الآن ان الأصدقاء العديدين الذين كانوا يختلفون اليهم فى حياة أمها كان دافعهم الوحيد حبهم لها أكثر من ودهم

www.elromancia.com

نحو أبيهم . وعندما ماتت أمها قلت الدعوات ، ولعل ذلك هو سبب انسياق أبيها بسهولة إلى قبول الدعوات التى كانت تأتيه من قصر ستانديش .

فكرت لينا فى مرارة : انه يستغل أبى . ولايريد الآن أن يستغلنى أنا .

وتذكرت فى نفس الوقت الومضة التى لمعت فى عينى سير هكتور . ونبرة صوته وهو يتحدث عن الحب ، فسرت فى بدنها رعشة من الخوف ، ولم يمنعها جهلها فى هذا الموضوع من ان تدرك أنه لايكن نحوها بأى حب وانما شيئاً بشعاً وكريهاً . وعادت تقول فى عنف : اننى اكرهه .... ونهضت من الفراش ، ومشت إلى المرآة . ونظرت الى صورتها .

لم يكن بها أى شىء من الغرور ، ولكنها ما كانت الا لتكون حمقاء حقاً لو أنها لم تدرك أنها أصبحت فى السنة الأخيرة جميلة جداً .

والواقع أنها كانت صورة من أمها . وكانوا قد احتفلوا بجمال تلك الأخيرة عندما ظهرت فى المجتمعات ورفضت الزواج أكثر من مرة لأنها وقعت فى غرام ايرل والنجهام .

تردد أبواها قبل سماعهما بذلك الزواج لأن الايرل كان

رجلا فقيراً بالمقارنة إلى الخطيبين اللذين تقدما لأختها .

وأخيراً ، ولكى لايتسببا فى تعاستها رضيا بذلك الزواج ، وعاش الزوجان بعد ذلك سعيدين ، بعكس كل التوقعات .

كان أساهما الوحيد هو أنها لم تستطع الانجاب بعد لينا . وكانت تلك هى الغمامة الوحيدة التى خيمت على سعادتهما ، فبقى الايرل دون وريث يرث اسمه وقصره الذى نعته سير هكتور بالأطلال ، ولكنه كان قصرهما ، وكان بالنسبة للينا البيت الذى نشأت بين جدرانه والذى أحبته ولاتتمنى أن تغادره فى سبيل رجل يكون فى عينيها اثمن من كل شىء كما كان أبوها فى عينى أمها .

وارتسم فى عينيها الواسعتين خوف كبير عندما تذكرت وجه سير هكتور ، وصاحت فى صوت مرتفع وهى تتحول إلى صورة أمها المعلقة الملتصقة بالجدار : ماذا أفعل ياأماه ؟

لم تكن الصورة غير بضعة خطوط مرسومة بالقلم رسمها فنان مجهول كان يقيم فى الجوار ، وأقبل إلى القصر ذات يوم وطلب من الكونتيسة أن تجلس أمامه لكى يرسمها لأنها أجمل امرأة رآها فى حياته ، وقبلت الكونتيسة وهى تضحك ، واستطاع الرجل أن يبرز جمالها على الورق أكثر مما كان أى فنان حقيقى

www.elromancia.com

يستطيع ، ولعل ذلك لأنه كان قد وقع فى غرامها فعلاً .

ورثت لينا عن أمها وجهها البيضاوى الرقيق وعينيها الواسعتين وانفها الرقيق المستقيم ، وشعرها الأشقر الناعم الذى يجعلها تبدو كاحدى حوريات الأقاصيص .

ولكن غياب الألوان من الصورة لم يكسب العينين ذلك اللون الغريب الذى ورثته لينا عن أمها . فلم يكن لونهما أزرق كما كان يجب أن يكون مع لون بشرتها ، وإنما أخضر مشوب بلمسة ذهبية كوهج موجة تحت الشمس ، كما قال الفنان .

رفعت لينا عينيها إلى صورة أمها وقالت : ساعدينى ياأماه . انت تعرفين اننى لا أستطيع ... الزواج برجل .. رجل مثل سير هكتور .. انقذينى ... أرجوك ياأماه .

وانتظرت لحظات ، ولم تلبث أن عرفت مايجب أن تفعل ، كما لو أن أمها قد أجابتها حقاً .

فى صباح اليوم التالى ، كانت لينا تنطلق إلى لندن ، فى القطار الذى استقلته بعد السادسة بقليل من أقرب محطة لبيتها . وكانت لاتزال مشدوهة لأنها أفلحت من مغادرة البيت بهذه السهولة .

حرصت على تجنب كل حديث مع أبيها بعد انصراف سير

هكتور . على أنه قضى اليوم فى الشراب ، فى غرفة المكتبة فى البداية ، ثم فى الحانة حيث يستقبلونه دائماً بأذرع مفتوحة .

بل أنه نسى أنه دعا إلى العشاء الطبيب وزوجته ، وهما زوجان ظريفان انتقلا اخيراً الى مانور هاوس ، وهو القصر الذى يقع فى الناحية الأخرى من القرية .

كان الكولونيل قد خدم فى فرقة الرماية ، وقد زار القصر مراراً ، وانتقل الآن الى قصر مانور هاوس الذى ورثته زوجته عن ابيها منذ عدة أعوام .

وكانت لينا قد اعدت ثياب النوم الخاصة بأبيها فى غرفة نومه . وقبل موعد العشاء بنصف ساعة دخلت غرفة المكتبة ووجدت فى يده كأساً وقال عندما رآها :

– آه . ها أنت أخيراً يالينا ! أين كنت ؟ أريد أن اتحدث اليك .

اجابته : لاوقت الآن للحديث ياأبى . هل نسيت ان جراهام ، وآل ايمرسون سيأتون لتناول العشاء ؟

– اننى لم أدعهم أبداً .

– بل دعوتهم ياأبى .. انك دعوت آل جراهام على كل حال ودعوت أنا آل ايمرسون لكى نكون ستة على المائدة .

www.elromancia.com

ونظرت إلى ساعة الحائط وقالت : يجب أن تسرع لأنهم سيأتون خلال نصف ساعة . كل شيء جاهز لأجلك فى غرفتك ، وماعليك إلا أن تستبدل ثيابك .

قال الايرل : يسرنى أن أرى آل جراهام . ولكن يجب أن اتحدث معك اولا يالينا .

اجابته : أخشى أنه لاوقت لدينا الآن ياأبى . غدا صباحاً .

وابتسمت له ، وخرجت من الغرفة قبل أن ينطق بكلمة أخرى.

وقامت باعداد الطعام بعناية كبيرة ، وساعدت الطاهية العجوز ، وتأكدت من ان زجاجات النبيذ القليلة الباقية بالقبو فى درجة حرارة معتدلة ، وكما توقعت استمتع أبوها بصحبة الكولونيل والطبيب ، وعندما انصرف كان من السهل أن تتمنى لأبيها ليلة طيبة وان تسرع بالخروج من الغرفة دون انتظار كلمة واحدة منه .

ولأنه سهر إلى وقت طويل فى الليلة الماضية ، وشرب طوال النهار ، وأثناء العشاء فقد كانت متأكدة من أنه نسى ما كان يريد أن يقوله لها .

ومهما يكن الآن فانه يستطيع أن يقول سير هكتور فيما بعد أنه لم ينقل حديثه اليها ولم يطلعها على اقتراحه وبذلك لن

يكون مسئولاً عن اختفائها .

وجمعت كل ما لديها من نقود ، ورأت بكل مشقة أنها تكاد تكفيها للرحيل الى لندن وقضاء بعض الوقت حتى تجد وظيفة .

ومن حسن حظها أنها كانت فى بداية الشهر . وكان لايزال متبقيا معها مبلغ صغير من المال الذى أعطاه لها أبوها عقب ليلة سعيدة حالفه فيها الحظ على المائدة الخضراء فى قصر سير هكتور ، وكانت قد اكتشفت فى السنة الأخيرة ان الطريقة الوحيدة التى تستطيع ان تسدد بها الطلبات هى اقناع أبيها بأن يكون كريما معها عندما يربح ، وقد أعطاها فى تلك المناسبة خمسة عشر جنيها كان لايزال نصفها معها وقتئذ ، وكانت تمتلك أيضاً جنيهات قليلة أدخرتها سراً للأيام السوداء ، وبعض المجوهرات التى كانت ملكاً لأمها . وكانت تخشى أن تدر لها مبلغاً صغيراً اذا باعتها وسيكون من المحزن لها أن تفترق عنها .

لم يعترف أبوها أبداً أنه باع خواتيم أمها والعقد الذى كانت تلبسه . وكان يؤكد لها دائماً أنها فى مكان أمين . وقد حزنت كثيراً عندما ادركت أن كنوز أمها ساهمت فى سداد بعض ديونه فى القمار . ولم تقل له بعد ذلك ابداً أن معها خاتماً وبروشاً مرصعين بالياقوت كانت أمها قد لبستهما كثيراً وقالت لنفسها فى

عنف : أنهما لى ولن يأخذهما لكى يبددهما فى اللعب .

ومع ذلك فقد كانت تعرف ان ديون القمار ديون شرف ، وأنها سوف تبيعهما وتقدم له ثمنهما لو أنه وقع فى ورطة . ورأت الآن أنها اذا اختفت فسوف يبحث سير هكتور عنها ، وأنه سوف يسدد فى نفس الوقت ديون أبيها لاعتقاده أن الأمر سوف ينتهى بزواجه منها ، وقالت تحدث نفسها " ولكننى سأحرص على ألا يجدنى أبداً " .

وكان معنى ذلك أنها لاتستطيع أن تلجأ إلى أى أحد من أقاربها ، لأنها كانت على يقين من أن أباها سوف يزود سير هكتور بأسمائهم وعناوينهم .

وراحت تنظر فى شرود الى المناظر التى تجرى خلف زجاج النافذة وتفكر فى وضوح تام عن أفضل مكان يمكنها أن تختفى فيه .

كان من الواضح أن لابد أن تجد لها عملاً تكسب منه قوت يومها ، ورأت يائسة من ذلك لن يتحقق بسهولة .

كانت أمها قد أصرت على أن تتلقى تربية طيبة ، رغم أن ذلك كان شبه محال تقريباً فى الريف الذى يعيشون فيه . ولكن اصرار الكونتيسة الشديد كانت له نتيجته أخيراً وقالت لها : لن

أعمد بك الى مربية عادية ينتظر منها كل الخبرات نظير مبلغ زهيد .

ومن المعروف ان الفتيات لايتلقين عادة ثقافة عامة فى حين أن الصبية يذهبون الى المدارس والجامعات ويتلقون الدروس الاضافية من أشهر المدرسين أثناء الأجازات ، وقد حالف الحظ أمها لأن أخاها كان من الضعف بحيث لم يستطع الذهاب الى المدارس ، ولما كان البيت قريباً من جامعة اكسفورد فقد جاءه أفضل المدرسين ، وشاركته أخته فى تحصيل الدروس .

وطافت أمها بالقرية التى يعيشون فيها وبحثت عن المدرسين المحالين الى المعاش ، وجاء بعضهم الى القصر لاعطاء الدروس للينا . وراحت هذه الأخيرة تذهب الى البعض الآخر ، وأصرت أمها فوق ذلك على شىء آخر ، وهو ان يتعلم اللغات . وكان من السهل عليها أن تتعلم اللغة الفرنسية فقد كانت تعيش على مقربة من القصر ارملة دبلوماسى انجليزى ، وهى امرأة فرنسية تنتمى الى اسرة عريقة بفرنسا ، مات زوجها بعد أن بلغت من السن مرحلة متقدمة ولم تشأ العودة إلى فرنسا ، وقالت :

– لم ترق لى ابداً الاقامة فى هذا البلد الشديد البرودة ، ولكننى قضيت حياتى هنا ، وسأبقى هنا رغم اننى أشعر بالملل

فى بعض الأوقات .

ابتسمت أم لينا وقالت : أظن ان الملل الذى تعانينه ياسيدتى راجع الى انك لاتفعلين شيئاً ، ولهذا سأطلب منك أن تعلمى ابنتى لكى تجيد اللغة الفرنسية ، واعتقد انك ستتمتعين بتلك الدروس كما أنها ستستفيد هى منها .

دهشت الأرملة فى البداية لهذا الأقتراح ، ولكنها قبلت القيام بالتجربة وهى تتذمر بعض الشىء .

وكما تنبأت الكونتيسة لم تستمتع لينا وحدها بالدروس ، وانما استمتعت مدرستها معها ، وكانت النتيجة أن لينا أصبحت كما أرادت أمها ، واستطاعت أن تجيد التكلم باللغة الفرنسية ولكنها كانت تتعثر بعض الشىء فى اللغتين الايطالية والألمانية .

وفكرت : لعل اللغة الفرنسية تنفعنى الآن .

ولكنها والحق يقال لم تعرف كيف تنفعها فان الاولاد الذين ينشأون فى اسرة تهتم بمستقبلهم سيكون لديهم أيضاً مدرس فرنسى . بيد انها رفضت ان تستسلم لليأس وغادرت مقعدها بقلب واثق تقريباً . عندما توقف القطار قبيل الظهر فى محطة سان بنكراس .

وأخذ أحد الحمالين حقيبتها ، وهى عبارة عن حقيبتين من

القماش وصندوق .

وعندما وجد لها عربة أجرة طلبت من الحوذى ان يمضى بها الى مكتب تخديم مسز هانت بشارع مونت . وكانت تعرف ان ذلك المكتب أفضل مكتب فى لندن وقد سمعت صديقات امها يمتدحنه لأنه كان يمدهن بما يردن من خدم ، وهذا هو السبب فى انها كانت قد حررت فى الصباح الباكر شهادة بمؤهلاتها وخبرتها هى بالذات ، وأرختها بتاريخ سابق لموت أمها بعدة أيام ، وقلدت توقيع أمها تقليدا متقناً .

وختمت الرسالة وارتسمت على شفتيها ابتسامة وهى تتذكر ماكتبته فى الشهادة عن براعتها وموهبتها كمربية أطفال ومدرسة للغة الفرنسية ، ولكنها لم تلبث أن نظرت الى صورتها فى المرآة وتملكها اليأس ، فقد كانت صغيرة جداً كلما تشغل مثل تلك الوظيفة . وتمنت ألا تلحظ مسز هانت ان المربية الوهمية لاسرة والنجهام لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها عند تحرير الشهادة المزعومة .

اعطت لينا الحوذى أجره عندما بلغت شارع مونت ، وأحست بالانفعال وهى تدخل مكتب التخديم ، حيث كان يجلس بعض طالبى الوظيفة على بضعة مقاعد مستطيلة ، فى مواجهة

مكتب تجلس اليه امرأة مسنة لها عينان حادتان داكنتان وتلبس نظارة معدنية .

خمنت لينا أنها مسز هانت ، فقالت لها :

– اننى أبحث عن وظيفة مربية أطفال ، وقد سمعت ان مكتبك أفضل مكتب بالمدينة .

وأخرجت من حقيبة يدها الخطاب الذى حررته فى الصباح الباكر وألقته فوق المكتب وهى تقول :

– هذه شهادة بخبرتى من الكونتيسة والنجهام ، وقد مكثت فى خدمتها سنين طويلة .

قالت مسز هانت فى حدة : انك أصغر من أن تكونى قد قضيت سنين عديدة فى خدمة أى أحد . ما أسمك ؟

– كرومر ... مس كرومر .

استعارت لينا اسم احدى مربياتها القدامى ، وهى امرأة ظريفة تلقت دروسها الأولى على يديها . وقرأت مس هانت الرسالة ثم قالت :

– لااظن ان لدى عملا يناسبك فى الوقت الحالى . ولكن يمكنك الجلوس والانتظار ريثما اتحقق من سجلاتنا .

أجابتها لينا : شكراً لك .

وتراجعت بضع خطوات إلى الخلف ، وجلست فوق مقعد أمام المكتب ، وتحولت مسز هانت الى مساعدتها ، وهى امرأة قصيرة وبدينة وبعينيها حول ، وأعطتها الخطاب . وجاءت المرأة بسجل ضخم راحت مسز هانت تقلب صفحاته . وسألتها بعد لحظة :

– مارأيك فى هذه ؟

اجابتها المرأة البدينة : اوه .. اننا ارسلنا إليها فتاة فى الاسبوع الماضى .

– آه .. اننى نسيت

وراحت تقلب صفحات أخرى ، وبدأت لينا تتساءل الى متى تنتظر وهى تأتى كل يوم وتنتظر فوق هذه الدكة الخشبية .

كان هناك فى آخر الغرفة فتاتان فى ريعان الصبا بدا كأن كلا منهما قد قدمت من الريف لتوهما . وكانت واثقة من انهما تبحثان عن وظيفة غسالة فى أحد البيوت العريقة . وكانت هناك أرملة متوسطة السن تغطى رأسها بمنديل مطرز بالخرز رأت أنها قد تكون مدبرة بيت أو رئيسة خدم ، وشاب ممتلىء الجسم ، يلبس حذاء برقبة ويمسك بقبعته فى يده . من الواضح أنه يبحث عن وظيفة سائس .

www.elromancia.com

- وما رأيك فى الليدى بيرشنجتون ... أعتقد أنها تريد فتاة ...

أجابتها المرأة البدينة : انها لاتريد مربية أطفال . وانما خادمة تعرف اللغة الفرنسية .

اسرعت لينا بالنهوض وقالت من غير تفكير : اننى أجيد اللغة الفرنسية .

حدجتها مسز هانت وقالت فى برود ، كما لو كانت تستهجن تصنعها للحديث : ان العملية التى نتكلم عنها تريد خادمة لامربية أطفال .

- اننى على استعداد بقول هذه الوظيفة اذا كانت لاتزال متاحة .

رفعت مسز هانت حاجبيها وقالت : ولكننى ارى ان هذه الوظيفة دون مستواك بكثير .

اجابت لينا : اننى بحاجة الى عمل عاجل ، وعلى استعداد لقبول أى شىء .

وفكرت وهى تتكلم ان وظيفة خادمة ستكون أفضل طريقة للاختباء .

انحنت مسز هانت نحو المرأة البدينة وهمست فى أذنها ببضع كلمات ردت عليها الأخرى ثم هزت كل منهما كتفيها . وقالت

مسز هانت :

- لابأس . يمكنك المضى الى الليدى وان تقولى لها إنك قادمة من طرفنا .

سأعطيك خطاب توصية وبذلك لن تزعم البارونة على الأقل أننا لانبذل جهدنا لارضائها .

لم يكن هناك شك فى ان مسز هانت كانت قليلة الأمل فى حصول لينا على تلك الوظيفة ، ومع ذلك فانها لم تزعزع ثقة الفتاة وفضولها فى ان ترى كيف ستدور الأمور . فقد قالت :

- اشكرك كثيرا ، وأرجو ان تكونى من الكرم بحيث تحتفظين باسمى من سجلاتك فربما لايحالفنى الحظ فأعود .

ولكن مسز هانت لم تتنازل بالرد ، وانما سطرت بضع كلمات فى بطاقة وضعتها مساعدتها فى مظروف ثم ناولتها عبر المكتب لينا فقالت :

- اشكركما كثيراً . كنتما فى غاية الكرم .

كان واضحاً أن مسز هانت قد دهشت من طريقتها . ولكنها لم تنطق بشىء . ومشت لينا نحو الباب وهى مدركة بأن طلاب الوظائف الجالسين ينظرون اليها فى غير ود لأنها افلحت فى الحصول على عمل . والتقطت حقيبتها القماش ونظرت الى

www.elromancia.com

الصندوق فى شىء من الحيرة ، ثم رفعت عينيها الى الشاب السائس ، وكان ينظر اليها بدوره ، وماهى الالحظة حتى ادرك ماتريد فنهض قائلاً :

– سوف أساعدك ياآنسة .

قالت لينا : اشكرك كثيراً .

وخرجا معا . وبعد ان انتظر فى الخارج دقيقة أو دقيقتين توقفت أمامها عربة يجرها جواد متعب . ورفع الشاب الصندوق ووضعه بجوار الحوذى . ووضعت لينا الحقيبة القماش داخل العربة وهى تتساءل ان كان يجب ان تمنح الشاب بقشيشاً . ولكنها لم تلبث ان تذكرت وضعها الجديد فاكتفت بأن بسطت له يدها قائلة : شكراً .

وانطلقت بها العربة الى العنوان الذى اعطته مسز هانت . وتساءلت ، وقد بدا لها الآن انها اصبحت من عامة الناس ان كانت ستفلح أيضاً مع أولئك الذين يجب ان تعتبرهم منذ اليوم فوق مستواها .

* * * *

الفصل الثانى

مامن رجل كان يدخل غرفة الاستقبال بالبيت رقم ٢٣ بميدان بلجريف إلاويحملق مشدوها فى السيدات الثلاث الجالسات بجوار النار .

كانت كل منهن مشهورة بجمالها الباهر ، وذلك فى وقت كان فيه العديد من السيدات الجميلات فى لندن . وقد قال أمير ويلز ، وهو خبير فى الجمال النسائى انه لم يتصوران هناك امرأة فائقة الجمال كالمركيزة هولم .

ولكن المركيزة بندولا كانت محل غبطة الجميع هى الأخرى ، بشعرها الذهبى البراق كالشمس ، وعينيها الزرقاوين كالبحر فى حين أن الليدى بيرشنجتون لم تكن مشهورة بجمالها الأخاذ فحسب ، وانما بفتنتها الساحرة التى لايستطيع الكثير من الرجال مقاومتها .

كانت كيتى بير شنجتون ترتدى فى تلك اللحظة فستانا جديداً وجميلاً أعدته لها حائلة الثياب المشهورة لوسيل لكى ترتديه أثناء تناول الشاى . وما أن دخلت غرفة الاستقبال حتى زفرت

www.elromancia.com

صديقاتها اعجابا وحسدا فى نفس الوقت ، وجلست على أريكة من الساتان وهى واعية تماماً بالتأثير الذى أحدثه ظهورها . ثم قالت :

- لدى الكثير مما أريد اطلاعكما عليه . ولهذا أرسلت إليكى معاه ، بعد الأفطار مباشرة لكى تأتيا للقائى فى الساعة الخامسة.

- سألتها ديزى هولم : ماذا حدث ؟

وفيما هى تتكلم لمع قرطها المرصع بالماس فى أذنيها الصغيرتين ، وتطاير ريش النعام الذى يزين قبعتها . وبدا كأن كل ذلك يبرز سواد شعرها وحاجبيها المقوسين فوق عينيها الفاتنتين .

ضمت كيتى بير شنجتون يديها معها وقالت : تماسكا جيداً ، لأنكما لن تصدقا ما سوف أقول لكما .

جازفت إيفى بندولا وقالت : هل وقعت فى الحب ثانية ؟

ضحكت كيتى وقالت : هذا صحيح فى الواقع . ولكن ما أريد أن اطلعكما عليه انما هو شىء آخر .. لقد هجر فابيان أليس.

مرت دقيقة والصديقتان تحملقان فيها فى دهشة ، ثم صاحت ديزى : هذا مستحيل .. ان علاقات فابيان تدوم دائماً اكثر من ذلك

قالت إيفى : وأنا أوافقك ، فلم يمر عليهما اكثر من ثلاثة شهور ، وفابيان يفخر دائماً بأن علاقاته تستمر طالما يخفق قلبه ، ثم أن أليس جميلة جداً .

كانت تشوب تلك المجاملة لمسة من السخرية ، ونظرت كل من ديزى وإيفى الى كيتى فى انتظار تفسير .. وقالت هذه الأخيرة:

- أتت اليس لزيارتى امس .

صاحت المرأتان فى صوت واحد : هل عادت إلى لندن ؟ .. لم أكن أعرف ذلك . ولكن لماذا لم تتصل بنا ؟

أجابت كيتى : لانها لم تشأ أن ترى أحداً غيرى . انها مذهولة ، وكسيرة القلب .. ولم تفهم لماذا فقدت فابيان . تقول إنه اصبح يحفل منها ، ويعتذر دائماً عن اجتماعه بها ، وانه اعترف أخيراً إنه مل عشرتها .

وساد صمت ثقيل ثم قالت ديزى : لاريب أنها لم تحسن التصرف ، فعندما رأيتهما معاً منذ شهرين كان فابيان يحيطهما بكل رعاية واهتمام ، وأنت تعرفين ظروفه من هذه الناحية . وكان يبدو مسروراً بالظهور معها فى كل مكان .

قالت إيفى : هكذا يتصرف فابيان دائماً . ولكن يدهشنى

www.elromancia.com

أنه قطع علاقته بها بهذه السرعة .

وافقتها كيتى قائلة : وهذا هو رأيى . وكانت كل منا محظوظه جداً . وشديدة التعلق بفابيان ، وقد خطر لى ... ان الأمر يهمكما .

قالت ديزى فى تفكير : اننى شديدة الفضول لمعرفة ما حدث .

وساد صمت آخر ، ثم قالت إيفى : اذا أردتما رأيى فإن أليس تثير الملل دائماً .

قالت ديزى : هذا صحيح . وفابيان لايضيع وقته ابداً فى مناقشات مع المرأة التى يعشقها .

قالت كيتى : هو ذلك ياديزى ، فان الواحدة عندما تكون مع فابيان لاتريد منه إلا قبلاته ، وشىء أكثر بكثير . والأمر الذى يثير الحنق هو أنه ، رغم اخلاصنا ووفائنا ، يبدأ دائماً بقطع علاقاته كل مرة .

ولزمت الصمت لحظة قبل ان تقول ببطء : ان الأمر بغيض بالنسبة لى ، ولكن حيث اننى أعرف أن أليس مملة ، وعلى شىء من البرود ، فاننى أرجو رغم أن ذلك قد يكون معجزة حقاً ، ان تكون قد اعطت فابيان درساً .

سألتها ديزى : هل تعنين أنه ربما أحبها أكثر مما أحبته هى .

أجابت كيتى : هو ذلك .

وزفرت زفرة حارة ثم استطردت : لاأظن أن هناك امرأة فى الدنيا يمكن أن تحب فابيان حبا طاغيا ولاينكسر قلبها عنده بهجرها .

تمتمت ديزى : هذا أمر نعرفه جيداً .

واردفت وهى تحدق فى النيران : اننى أحسست بتعاسه لاحد لها عندما هجرنى فابيان . ولكننى كنت عزيزة النفس بما يكفى لكى لا أتحسر أو يلحظ أحد مدى شقائى ، والواقع انكما الوحيدتان اللتان اطلعتكما على ذلك .

قالت كيتى : تعلمين اننا نتعاطف معك ، ونفهمك كما لايمكن لأى أحد أن يفهمك . والواقع اننى استأت لاننى لم أستطع الابقاء عليه أكثر من سنتين .

قالت إيفى مصححة فى صوت خافت : بل ثمانية عشر شهراً .

ولكن كيتى تجاهلتها ، وعادت ديزى تقول : وفى نفس الوقت ، ورغم اننى تألمت كل الألم فاننى شعرت بامتنان كبير نحو

www.elromancia.com

فابيان لأنه علمنى كيف يكون الحب . لكننى أتمنى ، دون حقد ، أن يتكلم قلب فابيان ولومرة واحدة . وأن يشعر لحظة بتباريح الهجران كما شعرنا بها نحن .

تنهدت كيتى وقالت : هذه أمنية لايمكن أن تتحقق ، انه أكثر رجال اوروبا جاذبية ، ولم تخلق المرأة التى يمكن أن تقاومه .

وافقتها ديزى قائلة : أنا معك فى هذا ، وهو لن يجد مقاومة حقاً فى الاوساط التى يختلف اليها فى فرنسا وانجلترا . ولن يعرف شيئاً من الأشجان التى يسببها الهجران .

قالت كيتى : الواقع ان هذا صحيح . ولعل مما يخجل أن نسلم بأن فابيان لو أشار لنا باصبعه الصغير لاسرعنا إليه كالكلاب الوفية .

صاحت ديزى : ولكننى واثقة اننى لم أفعل شيئاً من هذا .

قالت كيتى فى اصرار : بل ستفعلين ، فمن يمكنها مقاومة رجل كفابيان ، ويتكلم كفابيان ويحب كفابيان .

ساد صمت ، وراحت النساء الثلاث يحملقن فى النيران وهن يفكرن ، والرقة فى عيونهن مع ذكريات رجل علمهن الحب كما قالت كيتى ، وانفعلن به بطريقة لم يعرفنها من قبل .

كانت ديزى هولم قد مرت بعلاقة ملتهبة مع صديق من

أخلص أصدقاء زوجها قبل أن يدخل فابيان ، دوق دى سافيرن حياتها .

التقت به وهو لايزال مفتونا بايفى بندولا ، ودهش الجميع حين أفلحت فى اختطافه منها .

ولكن الواقع أن إيفى كانت قد ملته بعض الشىء ، ونشوة استمتاعها به كانت فى طريق الاحتضار ، وكان محتما أن يحدث ما حدث عندما تدخلت ديزى .

ومما سهل علاقة ديزى بالدوق فترات غياب الزوج الطويلة . فقد كان المركيز رجلا رياضيا ، يقضى أغلب أوقاته فى الصيد والقنص .

اما اللورد بير شنجتون فكان دائم التواجد فى مضمار السباق ، سواء اشتركت جياده فى السباق أم لا . وانتهت مغامرة زوجته مع الدوق فى الشتاء ، بعد انتهاء موسم السباق بالطبع ، فقد تعذر على العاشقين اللقاء بعد ذلك .

وما من شك فى ان الأزواج الثلاثة المعنيين كانوا يعلمون بما يدور ، فى غموض ، ولكنهم اطبقوا عيونهم على كل ماحدث ، كما هو متوقع وذلك حرصاً على سمعتهم وشرفهم .

ومع ذلك فقد دارت الشائعات باهتمام الدوق دى سافيرن

www.elromancia.com

بالنساء الجميلات لم يكن بالشيء المقبول تماماً . وقد وقعت مبارزات كثيرة فى فرنسا بسبب ذلك ، ... وقعت بينه وبين بعض الأزواج المهانين .

وقد خطر لكيتى لو أن جورج ثار بسبب علاقتها بالدوق لاضافت ثورته تلك ملحة من الخطر على علاقتها بالدوق ، كانت تتوق اليها .

ولكن جورج كان أكثر مكرا ، سواء عن عمد أو عن غير عمد ، فقد عاد الى بيته بعد انتهاء موسم السباق . وبعكس المتوقع لزم بيته ، ولم يذهب الى النادى ، وراح يقضى كل لياليه بجوار النار ، ويستقبل الدوق دى سافيرن بكل حفاوة ويتبارى معه أحاديث طويلة ، بحيث اضطر فابيان الى البحث عن صيد جديد ، أو بتعبير أصح عن امرأة اخرى يستطيع ان يمارس معها الحب بطريقته الساحرة التى لاتقاوم .

وقالت ديزى : أظن انه لابد لنا من مواجهة الحقيقة ، وهى ان فابيان طالما بقى على قيد الحياة فسوف يمضى فى طريق المتعة وينعم بأشعة الشمس ، وتقع النساء بين ذراعيه كالزهور الندية التى سرعان ماتزيل ثم يلقى بهن لكى يلتقط زهوراً أخرى غيرهن .

ضحكت كل من إيفى وكيتى وقالت الأخيرة : أوه انك شاعرية ياديزى . ولكننى أتمنى أن يقع فابيان مرة فى مأزق لامخرج له منه ، وأنا الآن حقودة حقاً .

قالت ديزى : ليس هناك أية فرصة لكى تتحقق هذه الأمنية

سألتها إيفى : ولماذا أنت متأكدة هكذا .

أجابتها ديزى : لأن فابيان يختار عشيقاته مما تدعوها الجرائد بالأوساط الراقية .

– وما علاقة ذلك بما نقول ؟

– قال لى أبى ذات مرة وأنا واثقة من صحة قوله ، ان الأوساط الراقية عرضه دائماً للاغراءات ، فى حين ان الأوساط العامة تعتبر الحب متعة رخيصة وان طبقة البورجوازيين هى الوحيدة التى تحترم نفسها .

انفجرن جميعاً بالاحترام ، وقالت كيتى : اننى واثقة أن أباك على حق ، فالمعروف طبعاً ان الأوساط البورجوازية حريصة دائماً على الأخلاقيات .

وسألت ايفى : وهل تحافظ الأوساط البورجوازية فى فرنسا على الأخلاقيات ، وهى الأخرى ؟

www.elromancia.com

– ما من أحد يجهل أن فابيان يقلب صفحات دليل المجتمع قبل ان يفكر فى ايقاع السيدة التى يقع عليها اختياره فى حبائله و ..

قاطعتها ديزى قائلة : أبداً . ان فابيان يفخر بأنه يستطيع، من نظرة واحدة أن يعرف ماضى أية امرأة وأخلاقها .

سألتها كيتى فى اهتمام : هل قال لك ذلك حقاً ؟ لقد ذكر لى كثيراً أنه متشدد فى اختياره ، واعتقد ان الأمر سيان .

أجابت ديزى : ان الفرنسيين كلهم متعنطزون ، وأظن انه قال مرة شيئا أثار قلقى ، وهو أنه ليس فى الجهة الأخرى من المانش دوقة أقل من الخامسة والثلاثين إلا وقد شاركها فراشها .

قالت ايفى : هذه مبالغة . ولكن لاشك ان فيها شيئاً من الصدق . واذا أردت الحق فان عشيقات فابيان كن جميعا مثلنا ، واليس بالطبع ابنة دوق .

قالت كيتى : ولكن واضح ان ذلك لم يساعدها على الاحتفاظ به .

وقالت ايفى : كنت أفكر بالذات فى النساء اللاتى نعرفهن واللاتى متع فابيان نفسه بهن . ويجب أن أعترف ، نهن ينتمين إلى صفوة الصفوة .

قالت ديزى : حسنا . سوف نعرف من تكون زميلته الجديدة فى حفلة يوم السبت الراقصة . ولدى احساس بأنه الآن ، وقد قطع علاقته باليس . فسوف تكون عشيقته الجديدة امرأة فرنسية

قالت ايفى : هل تراهن على ذلك ؟

أجابت كيتى : لن أضيع نقودى ، وأقول لك صراحة ، لايهمنى من تكون ، شريطة ان لاتأتى المسكينة بعد ذلك وتبكى فوق كتفى .

قالت ديزى : يبدو أنك قضيت وقتا عصيبا مع أليس .

أجابت : انت تعرفين أليس تماما . كانت تبكى ، وتبكى ، ولا تكف عن البكاء ، وتقول أنها ضحية ولاتدرى ماالذى حدث لكى يقطع علاقته بها .

قالت ايفى : لقد أضاعت كرامتها بعملها هذا . كان الجميع يعرفون انهما مضيا معاً الى جنوب فرنسا . وهناك مقولة بأنهما تصرفا تصرفاً معيباً فى مونت كارلو . ولكن ، والحق يقال ، لم تهتم أليس أبداً بالأخلاقيات .

قالت ديزى : انها اول مرة تقع فيها فى الحب . وأظن أنها امرأة باردة كما قلت ياكيتى . والنساء الباردات يتصرفن دائماً

www.elromancia.com

تصرفاً فاضحاً .

اعتدلت إيفى فى جلستها وقالت : اعتقد أنك ذكرت لنا السبب الذى جعل فابيان يملها بهذه السرعة .

– وما هو ؟

– إن فابيان يحب دائماً أن يؤجج سعير المرأة ، وما أن تلتهب حتى يتحول عنها ، ويتركها تحترق وحدها .

حملقت ديزى وكيتى فيها ، وهمتا بالرد عندما دخل رئيس الخدم، وساد الصمت وهو يتقدم نحو ربة البيت ويقدم لها بطاقة على صينية من الفضة . وأخذت الليدى بيرشنجتون البطاقة وقالت:

– نسيت إنك قلت لى ان هذه المرأة ستعود ثانية ... ادخلها الصالون الصغير .

– حسناً ياسيدتى الليدى .

وتحول ، وهم بالخروج ، عندما سألته كيتى : هل لابدلى أن أراها ؟ ماشكلها ياباتسون ؟

تردد باتسون لحظة قبل أن يقول : انها " ليدى " جميلة جداً ياسيدتى الليدى .

– تقول " ليدى " يابتسون ؟

– نعم ياسيدتى الليدى .

ألقت نظرة أخرى إلى البطاقة التى فى يدها ثم قالت : اننى لاأفهم .

لم ينطق رئيس الخدم بشىء ، ومضت لحظة بعد انصرافه وقالت ديزى ماالذى يضايقك ؟

– ان ماذكره لى باتسون اثار دهشتى حقاً ، فقد طلبت من مسز هانت خادمة تتكلم الفرنسية ، فلا أريد أن أبقى فى باريس معى خادمة إنجليزية لاتستطيع التفاهم مع بقية الخدم أو ان تقوم بالتسويق من أجلى . ولكن يخيل الى ان مسزهانت لم تفهم ما طلبته منها .

وألقت نظرة فاحصة على البطاقة مرة أخرى ثم قالت : كانت تلك المرأة فى خدمة الفقيدة الكونتيسة والنجهام . وانا لم أسمع عنها قط .

قالت ديزى : ولكننى سمعت هذا الاسم فى مكان ما . أظن أننى سمعت أبى يتكلم عن الايرل ولكننى واثقة اننى لم التق بهما

وقالت إيفى : اذا كنت تريدين خادمة تتكلم الفرنسية فمن الاوفق ياكيتى أن ترى تلك المرأة وأن تستخدميها فوراً . اننى

www.elromancia.com

سأسطحب خادمتى معى ، وهى لاتعرف كلمة واحدة من اللغة الفرنسية ، ولو انى قدمت لها ثروة لما حاولت ان تتعلماه . غير أنى لن أأتمن غيرها على ثيابى ومجوهراتى .

قالت ديزى : آه . ان خادمتك جونز قديرة حقاً ، ولاغنى لك عنها . اننى سيئة الحظ مع خادمى فهو معى منذ عشر سنوات ، وكيتى هى الأخرى سيئة الحظ مع خادمتها .

قالت كيتى ان خادمتى لابأس بها حقاً ، ولكنها تركتنى لأن أمها تحتضر ، وسأذهب الى أجمل حفلة راقصة فى باريس بدون خادمة تهتم بى وبثيابى .

وقالت ديزى : لوكنت مكانك لمضيت لرؤية هذه المرأة .

– سوف أفعل . ولكن لاداعى للاستعجال ، فمازال أمامنا وقت طويل قبل العشاء .

قالت ايفى : بل أذهبى الآن حتى نستطيع ان نستكمل حديثنا الساحر عن فابيان .

تذكرت كيتى قائلة : ان الخدم مزعجون حقاً .

ولكنها نهضت ومضت ببطء ورشاقة نحو الباب . وكان باتسون لايزال يحتفظ به مفتوحاً من أجلها . وما ان اختفت حتى قالت ديزى :

– غريب ان يصف باتسون هذه المرأة ويقول انها " ليدى جميلة " اننى اعرفه منذ سنوات ، فقد كان خادما لدينا قبل ان يلتحق بخدمة كيتى ، ولم أره يخطىء فى حكمه على أحد أبداً .

ابتسمت ايفى وقالت : ان باتسون شخص غريب الأطوار ومع ذلك فاننى أظن أن كيتى تستطيع أن تتفاهم مع أية امرأة ، وانها سعيدة الحظ حقا به .

فى نفس اللحظة كان باتسون يفتح باب غرفة الصالون الصغير ، حيث أدخل لينا .

كانت الفتاة قد مضت بعد ان غادرت مسزهانت الى ميدان بلجريف . ولكن قيل لها ان الليدى بيرشنجتون تتناول الغداء فى الخارج ، وانها لن تعود قبل الساعة الخامسة . فتملكها اليأس ، وقالت كيف تقضى تلك الساعات ، وماذا تفعل بحقيبتها . وكان الشخص الوحيد الذى يمكنها استشارته هو الحوذى ، وقد سارع الى مساعدتها ومضى بها الى محطة فيكتوريا ، ولم تكن بعيدة ، ونصحها بأن تودع حقيبتها بمكتب الأمانات ،ثم تجلس فى غرفة انتظار السيدات حتى يحين وقت عودتها الى ميدان بلجريف ، وقال :

– ليس هناك ماتخشينه ياآنسة . واذا أردت نصيحتى فلا

www.elromancia.com

تسيرى وحدك فى الشوارع ، فهى غير آمنة بالنسبة لفتاة شابة جميلة مثلك .

شكرته لينا من كل قلبها ، ولكنها حين ارادت ان تمنحه اكثر من أجره نظير مساعدته لها فرفض وقال :

– لن آخذ أكثر من حقى . احتفظى بنقودك يا آنسة ، فقد تحتاجين اليها اذا لم تلتحقى بالعمل .

وسألته عندئذ : هل تستطيع ان ترشدنى الى مكان ألجأ اليه اذا رفضوا الحاقى بالعمل ؟

فكر الحوذى فى اهتمام ثم سطر على ورقة عنوان بنسيون قال أنه محترم . وكانت لينا واثقة تماماً من قوله هذا ، ولكنها افترضت ان هناك أماكن كثيرة يمكن فيها ان تسرق نقودها منها وثيابها كذلك . وراعتها الفكرة ، غير أنها اتبعت النصيحة التى زودها بها وانتظرت فى قاعة انتظار السيدات وراحت تستمع الى ضجيج القطارات وهى تدخل المحطة وتنطلق منها حتى الخامسة إلا الربع ، ثم استقلت عربة أخرى الى ميدان بلجريف .

لم تتأثر كثيراً بحجم القصر بقدر ماتأثرت بأناقة مفروشاته . فقد كانت هناك فازات كبيرة ثمينة فى البهو ، وفى غرفة الاستقبال الصغيرة زهور تنبعث منها روائح شزية .

وعندما دخلت الليدى بير شنجتون بثوبها الأخضر الباهت حازت اعجاب لينا ، لأنه لم يسبق لها أن رأت امرأة بمثل جمالها . ونظرت اليها وهى تتقدم ، وما أن اقتربت منها حتى تذكرت انه يجب ان تنحنى تحية لها .

وإذا كانت لينا قد دهشت لجمال كيتى فان هذه الأخيرة القت اليها نظرة ورفعت حاجبيها دهشة ، فقد كان باتسون على حق ، فلم تكن الفتاة جميلة فحسب ، ولكنها كانت تبدو فعلاً كأنها " ليدى " وسألتها فى حدة وهى معتقدة بأن احدى صديقاتها ارادت ان تدبر لها مقلبا :

– من أنت ؟

– اسمى كرومر ... مس كرومر .

صاحت كيتى : اعرف هذا ، فقد قرأت البطاقة التى جئتنى بها ، ولكن ليس لك هيئة خادمة .

قالت لينا : كنت انشد وظيفة مربية أطفال ، ولكن مسز هانت قالت لى انك بحاجة الى خادمة تعرف الفرنسية ، وهى لغة اجيد التحدث بها تماماً .

– وكيف هذا ؟ .. هل أقمت فى فرنسا ؟

– كلا ياسيدتى ، ولكن أشرفت على تعليمى امرأة فرنسية

www.elromancia.com

- ولكنك لم تعملى خادمة اطلاقاً .

وجلست كيتى وهى تتكلم ، ولكنها لم تطلب من لينا أن تجلس فبقيت واقفة وقالت : كنت اعنى بثياب الكونتيسة والنجهام عندما كانت تفتقر الى الخدم .

- اعتقد حقاً انك صغيرة جداً على هذه المهمة ، وانني ... وأمسكت ، فقد كانت على وشك ان تقول " وجميلة جداً " ولكن قولها هذا سيكون غلطة ورأت امارات الخيبة على وجه لينا ، وساد صمت قصير ، قالت لينا بعده : أرجوك ، امنحيني الفرصة . انني اتعلم سريعاً ، واعلم ان بمقدوري أن أفعل كل ماتطلبين مني . وأنا واثقة إنني سأتأقلم مع باقي الخدم . واعدك بأنني سأكون عند حسن ظنك .

تأملتها كيتى ، وقالت فجأة : انك تتكلمين بطريقة مهذبة .

إجابت لينا : إنني تلقيت تربية طيبة .

ثم اردفت مسرعة : ياسيدتى .

- ألهذا السبب كنت تبحثين عن وظيفة مربية أطفال ؟

- نعم ياسيدتى . وأستطيع أن أعلم الاطفال مهما كانت سنهم .

لم تنطق كيتى ، وانما راحت تحملق فيها ثم نهضت قائلة : انتظرينى هنا . سأعود بعد قليل .

اسرعت كيتى خارج الغرفة تاركة لينا تحملق فيها فى دهشة ، فقد خشيت أن تكون قد نطقت بشىء غير لائق . ولكنها تشجعت لأن كيتى لم تصرفها وتمتمت :

- رباه .. الحقنى بالعمل لديها . انى واثقة ان سير هكتور لن يجدنى هنا ابداً ، فلم أسمع أبى يتحدث عن آل بير شنجتون

واذ رأت انه لاداعى لبقائها واقفة وهى بمفردها ، جلست على مقعد وراحت تبتهل .

قالت ديزى تسأل : هل تعتقدين انها تستطيع القيام بمثل هذا الدور . انك تتحدثين عنها كما لو انها طالبة .

أجابت كيتى : انها جميلة ... جميلة جداً ، حتى بالنسبة لأناس متشددين مثلنا .

ونظرت الى صديقتها المشدوهتين وقالت : وسوف تتحققان من ذلك .

قالت ديزى : انتظرى لحظة ، اجلسى ودعينا نفكر فى الأمر ... ان ماتقترحينه هو أن تدبر مقلبا لفابيان .

اجابت كيتى : سنلقنه درساً لن ينساه .

ضحكت ديزى وقالت : أحقاً تنوين كيتى ان تصطحبى هذه

www.elromancia.com

الفتاة الشابة الى باريس وتزعمين أنها من مجتمعنا الارستقراطى ؟... وهل تعتقدين حقاً ان فابيان سيقع فى حبها ؟... ولماذا يفعل ؟

وافقتها كيتى وقالت : انها مغامرة .

– هى مغامرة فعلاً ، ولكنه قد يكون مشغولاً بحب امرأة أخرى حالياً ، واذا كان الأمر كذلك فانه لن يهتم حتى بفينوسه نفسها .

قالت لى أليس انه ليس مشغولاً بأية امرأة أخرى الآن .

قالت ايفى : يجب ان نتصرف بسرعة اذن ، وإلا ضاعت علينا الفرصة .

وقالت ديزى : هو ذلك . ومهما يكن فاليوم السبت وسنمضى الى باريس يوم الخميس المقبل .

وساد صمت قصير ثم قالت إيفى : وكيف تعرفين انها من الطبقة البوراجوازية ، وانها مهذبة ؟

أجابت كيتى : لسبب واحد ، وهو أنها كانت تبحث عن وظيفة مربية أطفال ، وأعتقد أن مربيات الأطفال ينتمين الى الطبقة البورجوازية . وعلى كل حال يمكننا أن نسألها ، فليس هناك مانفقده .

قالت ديزى : هذا صحيح . ويدفعنى الفضول لكى أرى تلك

التى دعاها باتسون بليدى جميلة جداً ، والتى تعتقدين انها ستوقع فابيان فى حبائلها .

قالت ايفى : لو أنكما أردتما رأيى فاننى ارى ان كل هذه الخطة واهية . ومع ذلك فاننى على استعداد تام لكى أرى فابيان مخدوعا وواقعا فى حبائل امرأة أقل من مستواه .

ابتسمت كيتى وقالت : هذا هو ما أنشده . انه يظن نفسه من الذكاء والحصافة بحيث يمكنه ان يميز الصحيح من الزائف ، والثمين من الغث من أول نظرة . سوف يغضب عندما يرى أنه أخطأ .

قالت ايفى : ان كيتى على حق . واذكر ان فابيان قال لى مرة لايمكن لأية امرأة أن تخدعنى . اننى اعرف اذا كانت تكذب بمجرد ان تفتح شفتيها .

قالت كيتى : حسناً . أظن اننا نستطيع أن نخدعه . هل ارسل فى طلب هذه الآنسة الآن ؟

– أرجو ألا تشعرى بأى ضيق اذا قلت لك ، بعد ان أراها . انك على خطأ . ومهما يكن فلابد من ان نزودها بالثياب وأن ندفع لها ثمن الرحلة الى باريس ثم ، هل يجب أن تبقى معك أو مع إحدانا ؟

قالت كيتى : سوف تمكث معى أنا ، فالفكرة فكرتى ، ثم اننى أريد أن أقوم بتدريبها حتى لانقدم على أى خطأ اذا ما اهتم بها فابيان .

- واذا لم يلق اليها أى اهتمام .

ضحكت كيتى وقالت : يمكنها ان تعود الى مسز هانت عندئذ وأن تبحث لها عن عمل آخر .

وضحكت الصديقات الثلاث معا ، ومدت كيتى يدها الى حبل الجرس ، وقالت عندما ظهر باتسون على الفور تقريباً :

- ادخل مس كرومر .

- حسن جداً ياسيدتى .

ودخلت لينا ، ورأت وهى تتقدم نحو الصديقات الثلاث الجالسات بجوار النار ان صالة الاستقبال أجمل بكثير من تلك التى كانت فيها ، والزهور فوق المناضد تملأ المكان بشذاها العطرية ، وفيما هى تتقدم نحوهن أدركت بغريزتها انهن يحدقن فيها بطريقة غريبة ، فرمقت ذقنها قليلاً ، وفى الوقت نفسه اعجبت بجمالهن الاخاذ ، وتمنت لو أن أمها رأتهن ، وعرفت على الفور المركيزة هولم لأنها كانت قد رأت صورة لها فى احدى المجلات النسائية الشهيرة . وتكلمت ككيتى بيرشنجتون فقالت :

- هاتان صديقتان يامس كرومر . ونريد ان نعرف عنك بعض الأمور .

وكانت لينا تتوقع ذلك فقالت فى هدوء : وماذا تريدين أن تعرفى ياسيدتى ؟

- من أبوك ؟ وماهى مهنته ؟

- انه .. انه يملك بعض الفدادين فى هنتنجتروتشير .

قالت كيتى : هو مزارع اذن ؟

لم تعترض لينا ، وقررت بينها وبين نفسها ألا تكذب إلابقدر المستطاع ، والواقع أن أباها كان مزارعا فى وقت من الاوقات ، ولكنه وجد الزراعة مكلفة جداً وتأخذ من كل وقته فتنحى عنها واكتفى بتأجير الأرض وان كانت لاتدر عليه الا القليل .

- وأمك ؟ ... هل هى على قيد الحياة ؟

- كلا ياسيدتى . انها ماتت .

- هل لك اخوة أو أخوات ؟

- كلا ياسيدتى .

تحولت كيتى الى صديقتيها كما لو كانت تنشد مساعدتهما ، فقالت ديزى : هل تعتبرين نفسك بورجوازية يامس كرومر؟

www.elromancia.com

ادهش السؤال لينا ، ثم خطر لها ان مربية الأطفال لابد ان تكون من الوسط البورجوازى فأجابت :

– أظن أننى أعتبر نفسى كذلك ؟

– وهل تعتبرين نفسك مهذبة ؟ .. وبمعنى آخر هل أنت فتاة مهذبة ؟

نظرت لينا اليها فى شىء من الحيرة ، فتدخلت ايفى وقالت:

– ان صديقتى تريد ان تعرف ان كنت تتساهلين فى أمور الحب .

صاحت لينافى توكيد : كلا ... كلا على الاطلاق .

خطر لها أنهن يحسبنها من تلك الخادمات الشابات اللاتى يلتقين بالشبان فى المتنزهات ويجالسنهم تحت الأشجار كما سمعت أمها تقول ذلك عنهن . واعتقدت ان ليدى بيرشنجتون لاتحب منها أن تتصرف هكذا اذا الحقتها بخدمتها . وجعلها الحديث عن الحب تتذكر سير هكتور فاردفت تقول غاضبة :

– أؤكد لك ياسيدتى اننى تربيت تربية صارمة ونشأت كما يجب ، وليس هذا بالشىء الذى يمكن أن أقدم عليه .

ورأت ليدى بيرشنجتون تتحول الى صديقتيها وتبتسم لهما

ثم تقول :

كنت واثقة انك ستردين هذا الرد . ومع ذلك فاننى أريد أن تعدينى بأنك سوف تتصرفين فى كل المناسبات طبقاً للمبادىء التى لقنها لك أبواك ، وان تصدى أى رجل يحاول ان يتصادق معك .

رأت لينا أن تبدى غضبها لمثل هذا القول المهين ، ولكنها حدثت نفسها بأن من حق كل سيدة أن تتحقق من تلك النقاط عندما تلحق الخدم بخدمتها وقالت :

– يمكننى أن أؤكد لك ياسيدتى اننى لا أهتم بالرجال ، وان كل اهتمامى ينحصر فى العصور على عمل وأن أعمل كل مايطلب منى دون أى تقصير .

واستطاعت أن تلمح فى عينى الليدى بيرشنجتون ان هذا هو الرد الذى كانت تتوقعه ، وتكلمت كيتى عندئذ فقالت :

– لدى اقتراح أريد أن أعرضه عليك يامس كرومر ، وأظن ان من الأفضل ان تجلسى وتستمعى الى ماسوف أقول .

نظرت لينا حولها ، ورأت بجوار الأريكة التى تجلس عليها الليدى بيرشنجتون مقعداً فجلست على حافته مدركة بأن من الخطأ ان تجلس بكل راحتها . وبدا كأن الليدى تبحث عن كلماتها

ثم قالت أخيراً :

– هل حدث ان قمت بدور فى احدى المسرحيات ؟

أجابت الفتاة : فى حفلات عيد الميلاد فحسب .

فكرت وهى تتكلم فى الحفلات التى أقامتها أمها فى القصر والتى ذهب اليها الأطفال مع زويهم . وقالت كيتى :

– أريد منك أن تقومى بدور .

سألتها لينا : أى نوع من الأدوار .

اجابتها كيتى : سأذكر التفاصيل فيما بعد .

ثم نظرت الى ديزى كما لو كانت تطلب منها أن تتولى عنها الكلام ، فقالت هذه الأخيرة :

– لك ان ترفضى طبعاً . ولكن اظن ياكيتى انه يجب ان نوضح لمس كرومر اننا سنكافئها بسخاء اذا أدت دورها ببراعة .

وافقتها كيتى قائلة : طبعاً ، وقد تحققت أنها ارادت أن تنبئها بأن لينا اذا كانت محترمة ، فإنه يمكنها ان ترفض بصراحة القيام بالدور السخيف الذى خططن له ، وأدركت عندئذ ان من الغباء أنه لم يخطرلهن ان من الضرورى تقديم مكافأة ، وقالت :

– اليك مانقترحه يامس كرومر . اذا أديت مانطلبه منك ، وقمت بدورك بنجاح فسأمنحك مائة جنيه عندما نعود الى لندن .

بدا الذهول على لينا .. مائة جنيه مبلغ جسيم . وأكثر بكثير من المبلغ الذى تجنيه كمربية أطفال ، ثم خطر لها ان تلك السيدات يردن منها القيام بعمل غير حميد فأسرعت تقول :

– قبل أن أسمع اقتراحك ياسيدتى اريد ان أعرف ماهو الدور الذى تريدينني أن أقوم به .

أجابت كيتى : بالطبع ... وأخذت نفساً طويلاً ثم استطردت:

– اريد منك ان ترافقينى الى باريس ، وان تقومى بدور سيدة من سيدات المجتمع الانجليزى ، ولن يكون ذلك بالأمر المتعذر عليك حيث انك قلت لى أنك تلقيت تربية طيبة .

قالت لينا : اننى لا أفهم ياسيدتى ... لماذا يجب أن أقوم بهذا الدور ؟

خطر لها انهن يردن منها القيام بدور على خشبة المسرح ، وأنها يجب أن ترفض هذا الدور فوراً ، فقد قالت لها أمها ان الممثلات من طينة أخرى وان الشبان الذين يصاحبونهم فى لندن يبددون ثرواتهم عليهن ، ثم ان صديقات أمها تحدثن كثيراً عنهن خاصة وأن ابناءهن وقعن فى حبائل هؤلاء الراقصات ، وأسرعت كيتى تقول :

www.elromancia.com

– لن يكون ذلك الدور على خشبة المسرح . وانما ستزعمين انك صديقتى ، وأنك تنتمين الى الطبقة الارستقراطية التى انتمى اليها . وسوف نمضى الى الحفل الراقص الذى يقيمه دون دى سافيرن فى قصره بباريس يوم السبت القادم . واريد منك ان تكونى لطيفة معه كما يمكن لأية سيدة وأرجو ان يفتن بك .

– مازلت لا أفهم لماذا تريدين أن ....

قاطعتها كيتى فى حدة : هذا شأننا . لاحاجة بك الى معرفة المزيد ، ويخيل الى ان أية فتاة فى ظروفك هذه يجب ان تسرع بقبول الفرصة لزيارة باريس .

– ولكن ... اود الذهاب الى باريس طبعاً ، غير اننى لا أعرف بالذات ماالذى تنتظرينه منى ، وأخشى ألا لاأستطيع ارضاءك .

قالت كيتى : اننى على يقين من انك ستقومين بهذه المهمة على خير مايكون .

وتحولت الى صديقتيها اللتين وافقتاها بهزة من رأسيهما .

أحست لينا بالحيرة حقاً ، وزادتها تلك الحيرة فتنة وجمالاً أكثر . على أن جمالها وبراءتها كانت الورقة الرابحة فى ايدى السيدات الثلاث لنجاح المؤمراة التى يدبرنها ، وما كان يسع الدوق

دى سافيرن إلا أن يقع فى سحر الفتاة الشابة . وقالت كيتى فى لهجة انتصار :

– قضى الأمر اذن .

وعندئذ قالت ديزى : ولدى انا الأخرى اقتراح لكى يقنع الآنسة كرومر نهائياً .

سألتها كيتى : وماهو ؟

– مادمت ستقدمين لمس كرومر مائة جنيه عند عودتها فسأقدم لها انا الأخرى خمسين جنيها قبل رحيلنا الى باريس ، وانا واثقة ان إيفى ستوافق هى الأخرى على ان تقدم لها مثل هذا المبلغ ، وبذلك يكون مجموع ماسوف تأخذه مائتى جنيه نظير مهمة ستكون من اسهل المهمات .

تمتمت لينا : مائتا جنيه !

وازداد ذهولها ، فان هذا المبلغ سيتيح لها الاقامة بعيداً عن القصر مدة طويلة بحيث يتملك سير هكتور الناس وتتخلى عن كل أمل فى العثور عليها .

ولكنها ، أحست مع ذلك بشىء من القلق . أفلا يجازف هذا الدور الصغير الذى يطلبه منها القيام به الى ان يكون له عواقب وخيمة .

www.elromancia.com

وكانت لاتزال مترددة ، ولكن عندما تذكرت كم كانت أمها تتمنى ان تقيم لها حفلة راقصة أحست بأنها يجب أن تقبل . ففى ذلك تحقيق اعز امنية لأمها . وتحولت عندئذ الى كيتى وقالت لها :

– اننى اشكرك كثيراً وأقبل عرضك ، وأعدك ان ابذل قصارى جهدى لارضائك .

أجابت كيتى : هذا ما كنت أود سماعه منك ، وأمامنا الآن أربعة أيام يجب أن نجد لك فيها الثياب التى تناسبك وان نشرح لك ماننتظره منك بالتفصيل .

ونظرت الى ديزى وايفى وهى تقول ذلك ثم أردفت : سوف احتاج الى مساعدتكما ، خصوصاً فى مسألة الثياب . انتما تدركان تماماً أنه يتعذر علينا ان نحصل على كل مانحتاج اليه فى أربعة أيام .

وافقتها ايفى قائلة : هذا صحيح ، ولكن بما ان مس كرومر فى مثل قامتى فاننى أعتقد ان عددا كبيرا من ثيابى يمكن ان يصلح لها ، بقليل من التعديل .

وقالت ديزى : من الأوفق أن نقدم لها ثوباً مثيراً لكى ترتديه فى الحفل الراقص . وبالمناسبة ، كنت قد أوصيت على ثوب لى لم يجهز بعد ، وسأضحى به وأوصى على غيره . ويجب ان تعترف

يا ايفى اننى اساهم معك مساهمة كبيرة .

قالت كيتى : اشكرك ياديزى . أعرف ان ظهور البطلة فى الفصل الأول له تأثير كبير ، ولكننى أتساءل ماذا يكون من أمرها فى الفصل الثالث .

اجبت ديزى : هذا ماكنت أفكر فيه بالذات .

ثم ضحكت واستطردت : اوه ياكيتى ... انك خططت الكثير فى الماضى ، ولكننى أقسم أن هذه أكثر خططك اثارة وجنوناً فى الوقت نفسه . كنت اعرف دائماً انك يقظة وذكية .

قالت كيتى فى سرور : دعى المجاملات لما بعد ، ولنقتصر فى تفكيرنا فى الوقت الحالى على فابيان لكى نرى ما يجب ان نفعل معه بصورة أو بأخرى .

ضحكت ديزى وقالت : هو ذلك . وهذه هى الكلمة الحقة ياكيتى ... اننا ندين له بمفاجأة خاصة حقاً .

* * * *

الفصل الثالث

أحست لينا وهى فى القطار المنطلق بها الى باريس انها تعيش فى حلم . لم تستطع ان تصدق الأحداث التى مرت بها فى الأيام الخمسة الأخيرة ، واعتقدت أنها نتاج خيالها ، ثم قالت لنفسها انها لتكون حمقاء اذا داخلها الخوف مما قد يقع لها ، فان المبلغ الخاص الذى معها ، والمائة جنيه التى حرصت على ان تودعها أحد المصارف بلندن يتيحان لها بعض الاستقلالية ، فاذا ما تخلى عنها الخطر أو أكرهت على عمل بغيض لاتقره أمها يمكنها أن تعود الى انجلترا ، وأن تعيد نصف المبلغ الذى حصلت عليه على الأقل حتى يتسنى لها أن تجد عملاً آخر ، وأن تتحرر من وعدها لليدى بيرشنجتون وصديقتيها .

عرفت اثناء اقامتها فى ميدان بلجريف ان الليدى بيرشنجتون امرأة صارمة ومتشددة . ولم تصدق الابشق النفس أنها تملك الآن الثياب التى قدمتها لها الليدى بيرشنجتون . قالت عندما أعطتها الفساتين الثلاثة الأولى :

– انها رائعة جداً ، وسأحرص على أن اعيدها لك فى حالة جيدة .

أجابتها كيتى على الفور : كلا . انها اصبحت ملكاً لك الآن . أؤكد لك اننى لم أعد بحاجة اليها .

ورغم ادراكها لجمالها فقد كانت تدرك أنها تفتقر الى الثياب الجميلة أما الآن ، وهى ترتدى فستاناً من فساتين الليدى بيرشنجتون فقد رأت أنها قد غدت كأميرة من أميرات القصص الخيالية .

ولكنها لم تفهم تماماً مايتوقعنه منها . ولماذا حملنها على ارتداء مثل هذه الثياب الرائعة ، ومرافقتهن الى حفلة راقصة خاصة .

ولم تفهم المداعبات ولا الملاحظات التى كانت تدور بينهن ، وأقلقها علمها بالمقلب الذى يدبرنه .

قالت لها الليدى بيرشنجتون فى اول ليلة بلهجة مدرسة تخاطب تليمذتها :

– سوف نبدأ الآن ، بعد ان استقرت نوايانا . سأرسل أحد الخدم لكى يأتى بحقيبتك من أمانات المحطة رغم اننى أعتقد أنه ليس فيهما ماينفعك الآن ، وسوف تمكثين معى هنا بصفتك صديقة لى . وسيكون اسمك ليدى ليتلتون .

ذلك ان كيتى وصديقتيها قررتا ان يكون ذلك اسمها ، فقد

www.elromancia.com

رحن يقلبن صفحات دليل المجتمع الراقى الى ان قالت ديزى :

– اننى واثقة اننا نضيع وقتنا ، فان فابيان يظن ان غريزته على مستوى اعلى من دليل المجتمع ، وأنا واثقة انه سيقبل لينا دون آية مشكلة .

واستقرت نيتهن على ان تبقين اسمها الأول كما هو لأن كيتى قالت فى شىء من الحسد انه اسم جميل . وسألتها إيفى :

– وباتسون ؟ انه يعرف اسمها الحقيقى .

أجابتها كيتى : ليس هناك مايدعو الى القلق من ناحيته ... انه رجل كتوم ، واذا قلت له ان لقب لينا هو ليتلتون فانه سينسى ان لها اسما آخر .

قالت ديزى : اعتقد ان لقب ليتلتون لابأس به . واين المفروض ان يكون زوجها ؟

أجابت كيتى : انه يصطاد فى اسكتلندا طبعاً ، ولايهتم الابما يجنيه من صيد .

قالت ايفى عندئذ : من الأوفق ان يكون اكبر سناً من لينا بكثير ، وأن ألايبدى بها اهتماماً كبيراً ، وأنا على ثقة من ان فابيان سيظن ان فرصته كبيرة فى ان يكون فارس أحلامها .

قالت ديزى ساخرة : وهو دور يجيده كل الإجادة ولم يكن

لدى لينا ، وهى تصغى اليهن ، اية فكرة عما يعنين.

تساءلت فى غموض : من يكون هذا الفابيان ، ولكن كان من الصعب عليها فى الأيام التالية ان تفكر فى شىء آخر غير ملابسها وتعليمات كيتى لها .

كان الثوب الذى اعطته لها المركيزة جميلاً جداً بحيث لم تصدق انها سوف ترتديه . كان مزيجا من اللونين الأبيض والفضى ، وأحست من جديد وهى تراه ، أنها فى حلم ، وسألتها قائلة :

– كيف يمكن أن تعطينى ثوباً بكل هذا الجمال ؟

ابتسمت المركيزة ابتسامة خفيفة وقالت فى غموض : ان قضيتنا تبرر هذه التضحية .

ولم يكن لدى لينا اية فكرة عما يمكن ان تكون هذه القضية.

وبدأت تتساءل عندئذ عن سبب اهتمامهن الشديد بذلك الفابيان ، ولم تفهم شيئاً من حديثهن عندما كن يتكلمن عنه ، لأن حديثهن كان له معنى مستترا خفى عليها .

وأدركت الآن ان حرص الليدى بيرشنجتون على استخدامها واهدائها تلك الثياب الغالية . ومنحها تلك المكافأة السخية انما هو بسبب ذلك الفابيان ، والأمر الذى أضر بها هو ان

www.elromancia.com

الليدى بيرشنجتون قد دهشت لحسن سلوكها على المائدة ، وأوبها ، والسهولة التى راحت تتكلم بها أمام اللورد بيرشنجتون أثناء وجوده دون أن تشعر بأى ضيق .

ولم تسمع ما قاله اللورد لزوجته وهما وحدهما ، فقد قال : ان صديقتك الجديدة امرأة ظريفة ومهذبة وذكية .

أجابت كيتى مترددة : يسرنى أنك أعجبت بها .

واستطرد اللورد يقول : انها امرأة شديدة الحساسية ، وهو شىء لا أستطيع أن أقوله عن معظم الشابات اللاتى تلتقين بهن هذه الأيام ... وزوجها ، كيف هو ؟

– لم أره منذ سنوات ، ولكنه أكبر منها سناً بكثير .

نصحها اللورد قائلاً : حسناً . أحرصى على الاتقع لها أية مشاكل وهى فى باريس .

– سأبذل كل جهدى حتى لايزعجها أحد ياجورج .

ودهشت كيتى وايفى من ذكاء لينا واستعدادها للقيام بالدور الذى انيط بها . وقالت أيفى :

– مهما كانت حدة ملاحظة فابيان فاننى أقسم أنه سيقع فى الشرك .

اجابتها ديزى : ليس هناك أى شك فى هذا .

وقالت كيتى : علينا ألا لانعتمد على ذلك .

قالت ايفى : هذا صحيح . والمهم ياكيتى هو ألا لاتقدم الفتاة على اية أخطاء واضحة فى سلوكها تجعل فابيان يشك فى أمرها .

خطر لكيتى أن من الغرابة . حقاً أن لينا لم تأت بأية هفوة ، والأمر الذى راق لها هو ان الفتاة كانت من الذكاء بحيث انها كانت تسأل عندما تريد أن تعرف فحسب ، ورغم أنها لم تذكر لها السبب فى اصطحابها الى باريس وانها اكتفت بان قالت لها ان تزعم انها امرأة متزوجة فان لينا خطر لها بغريزتها أن الفاتنات الثلاث ، وهو اسم أطلقته على كيتى وصاحبتيها ، كن يدبرن شيئاً لمعاقبة الدوق .

أما ماذا فعل ، ولماذا يردن معاقبته فانها لم تعرف ذلك . وكل ماعرفته هو ، من وجهة نظرهن ان تقوم بدورها باقناع لكى يعتقد انها الليدى ليتلتون ، وانها قضت كل حياتها فى معزل ، بشمال انجلترا .

وقالت لها كيتى : وهذا يبرر عدم متابعتك للأحداث العالمية ، وللأشخاص ذوى الأهمية .

ولزمت الصمت لحظة ثم قالت : انك تعيشين فى املاك

زوجك بيوركشير حيث يملك قصراً عائلياً فخماً ، وحيث يحبه جميع الأهالى .

سألتها لينا : وهل المفروض ان أكون ثرية ؟

اجابت كيتى : بما فيه الكفاية لكى تنفقى على الثياب التى ترتديها ، وكان ابوك هو الآخر من النبلاء ، والآن ، دعينى أرى ... ماذا تزعم كان لقبك قبل زواجك .

ولم تنتظر حتى ترد لينا ، وأسرعت تقول : سيكون لقب كومب مناسباً ، فقد عرفت اسرة باسم كومب كانت تعيش فى بوركشير ، ومن الممكن ان يكونوا جيرانا لزوجك .

مرت بلينا لحظة أوشكت فيها ان تقول ان من الخطأ ان تزعم ان لقبها كومب لأنه لقبها فعلاً ، ولكنها لم تلبث ان خطر لها ان هذا اللقب شائع فى انجلترا ، ثم انها كانت تعرف دائماً ان هناك عددا كبيرا من أقاربها فى كل الجزر البريطانية .

ومع ذلك فقد بدا لها من المصادفات العجيبة ان الليدى بيرشنجتون فى اهتمامها بايجاد اصولها يقع اختيارها على لقبها بالذات ، ورأت ان ذلك سيكون مدعاة لقصة طيبة . ولكنها قالت فى صوت مسموع :

- أظن ان كومب لقب جميل .

وأقامت الليدى بيرشنجتون ، فى الليلة السابقة لرحيلهن الى باريس حفلة صغيرة حضرتها ديزى وايفى ، ولما كان زوجاهما قد اعتذرا عن الحضور بسبب مشاغلهما فقد دعت رجلين خصوصاً لكى تسمع رأيهما فى لينا .

كانت ترتدى ثوبا تنازلت ايفى لها عنه . وصففت شعرها بطريقة رائعة أبرزت اناقتها بجوار جمالها الباهر . واحرزت نجاحا ساحقاً .

وكانت من الذكاء بحيث ادركت ان الاكثار من الكلام خطأ كبير ، لأنها كانت تعرف انه لابدلها من اخفاء ماضيها . واصغت باهتمام الى مايتناقله المدعوون اثناء الطعام ، وادركت فيما بعد ، عندما انتقلوا الى غرفة الاستقبال ، وتحدثوا الى الليدى بيرشنجتون فى صوت خافت أنهم يتكلمون عنها ويمتدحونها .

وقال أحدهم : انها أكثر الشابات اللاتى التقيت بهن ذكاء وفتنة ... وزوجها ؟ ... كيف هو ؟

اجابت كيتى : عجوز وممل .

رأت عينى محدثها تومضان ، ولم تدهش وهو يقول : أرجو ياكيتى عندما تعودى من باريس أن تدعينى للعشاء مرة أخرى . فربما استطيع ان اصطحبك انت والليدى ليتلتون الى المسرح .

وكان الرجل الآخر الجالس الى يمين لينا بغيضا فى اطرائه اذ قال :

اين اكتشفتها بحق السماء ياكيتى . لن تصدقينى ولكننى أشعر اننى وقعت فى الحب .

قالت كيتى : حقا يادارسى ؟ ولكن هذا ماتفعله دائماً فى حياتك ، من وقت لآخر .

أجاب : اننى اعرف ، ولكننى أشعر بأن الأمر مختلف هذه المرة ، وقد تقدمت بى السن كثيراً بحيث لايطاوعنى ضميرى بأن الاحق امرأة اصغر منى بكثير .

قالت كيتى : لاتلاحقها اذن ودعها وشأنها .

وانتهى العشاء . وصعدت كيتى ولينا الى الطابق العلوى معاً ، فى حين بقى اللورد بيرشنجتون لتناول كأس أخيرة . وقالت كيتى :

- انك أحرزت نجاحاً كبيراً .

قالت لينا : اشكرك . كانوا جميعاً ظرفاء معى ، ويتعذر على ان أجد الكلمات المناسبة لابداء شكرى .

قالت كيتى : مازال أمامك طريق طويل قبل ان تحتاجى الى ابداء شكرك ، فان الاختبار الحقيقى يبدأ غداً .

أجابت لينا : نعم ... اننى اعرف ذلك . وسأصلى الليلة لكى لا أخيب ظنك .

ضحكت كيتى باستخفاف وقالت : هذه فكرة طيبة ، فنحن بحاجة الى كل مساعدة .

كانت الملاحظة من تلك الملاحظات التى تثير ضحك المدعوين . ولكن لينا بدا عليها شىء من الحيرة . وعندما مضت الى غرفتها تساءلت ، كما تفعل فى الأيام الأخيرة لماذا يجب أن تقوم بذلك الدور فى تلك الحفلة ، وما الذى تجنيه الليدى بيرشنجتون وصديقتاها من ذلك ، وقالت :

- ليتهن يذكرن لى الحقيقة .

وعندما أوت الى فراشها بعد ذلك وساعدتها الخادمة على استبدال ثيابها ، قالت لنفسها : اننى محظوظة حقاً .. محظوظة جداً . وراحت تتلو صلاة الشكر التى اعتادت ان تتلوها كل ليلة ، منذ ان اقبلت الى ميدان بلجريف .

ومع ذلك فقد اجتاحها شىء من الخوف لم تستطع التخلص منه ، وكانت تعرف ان السبب فيه هو فابيان ... دوق سافيرن .

وعندما كانت تجرب الثياب التى أعطتها لها كيتى والتى

عدلتها الحائكة لتناسبها خطر لها فجأة خاطر مخيف ، وهو ان ذلك الفابيان الذى يأتى اسمه فى حديث " الفاتنات الثلاث " عندما يجتمعن معا قد يكون بغيضاً هو الآخر كسير هكتور .

قضت جزءا كبيراً من الليل وهى لاتجد الى النوم سبيلاً ، وعندما أصبح الصباح وجدت مايكفى من الجرأة لكى تسأل كيتى قائلة :

– هل السيد الذى تتكلمن عنه والمدعو فابيان دوق سافيرن ، هو الذى يقيم حفلة يوم السبت – الراقصة – ؟

اجابتها كيتى فى حدة : نعم ، هو طبعاً . كنت أظن انك تعرفين ذلك ،

– هل هو رجل عجوز ؟

صاحت كيتى : اوه ... ابداً . ماالذى يحملك على هذا الظن؟

اجابت لينا فى ارتباك : ظننت بما أنه دوق .

قالت كيتى : انه ورث اللقب من ابيه ، وهو فى العشرين من عمره .

تنهدت لينا فى ارتياح ، ثم قالت فى اهتمام : أظن انه متزوج ، وان زوجته هى التى تقيم الحفلة ؟

ضحكت كيتى وقالت : ارى انك واسعة الخيال . ان الدوق سافيرن لم يتزوج ، رغم ان العديد من النساء فى انجلترا وفرنسا حاولن الظفر به .

واستطردت تقول بعد صمت قصير : وهو يقيم الحفلة لأخته الصغيرة بمناسبة خطبتها .

زادت اجابات الليدى بيرشنجتون من حيرة لينا . ومع ذلك فقد حرصت " الفاتنات الثلاث " على تجهيزها بأغلى الثياب ، ومنحها زوجاً لا لشىء الا للقيام باغراء الدوق .

وكانت تتساءل ماذا يحدث لو انها قامت بدورها المطلوب ولم يقع فابيان فى الشرك ، أو يتجاهلها ، وفكرت :

– اظن انهن سوف يطردننى اذا حدث ذلك .

ثم تذكرت المائة جنيه التى اودعتها البنك باسمها الحقيقى ، والذى لابد أن تحتفظ بها مهماحدث من خير أو شر فى باريس .

ولكنها لم تعرف فى ذلك الوقت ماهو الخير أو الشر بالنسبة لليدى بيرشنجتون وصديقتيها . كان من الواضح انهن يتوقعن ان ينجذب الدوق اليها ، ولكن اذا كان الأمر كذلك فلماذا الادعاء بأنها متزوجة .

كانت تعرف أن الصعوبة الوحيدة الكامنة فى ذلك الأمر هى

www.elromancia.com

التحدث عن زوجها المزعوم والمفروض أنه يصطاد فى اسكتلندا ، بدلا من مرافقتها الى باريس ،. وراحت تقول للمرة المائة : اننى لا أفهم .

ومع ذلك ، ورغم أنه تعذر عليها ادراك الحقيقة فانها لم تجرؤ على القاء المزيد من الأسئلة على الشريكات الثلاث ، وعلى الخصوص ، على الليدى بيرشنجتون ، لأنها كانت تخشاها بعض الشيء ، منذ أن رأت الطريقة التى استخدمتها مع الخادمة الجديدة التى أرسلتها اليها مسز هانت ، فقد أصدرت اليها اوامرها بلهجة جافة وقاطعة ، وادركت عندئذ الموقف البغيض الذى كان يمكن ان تتعرض له لو أنها رفضت الاقتراح الغريب الذى تقدمت به السيدات الثلاث .

ومع ذلك فقد كانت الخادمة الجديدة ، وكانت تدعى سميث تنفذ التعليمات التى تصدر اليها بطريقة خرقاء ، وكانت أخطاؤها تثير السخط أحياناً ، ولكن لينا كانت تحاول مساعدتها والتخفيف عنها بحيث ان الفتاة المسكينة احست نحوها بالشكر والامتنان .

سافرت الليدى بيرشنجتون وصديقاتها فى جو كبير من الترف أثار دهشة وطرب الفتاة الشابة ، فقد أعد لهن الدوق سافيرن قطاراً خاصاً ، وركبت الثلاث ومعهن وصيف اللورد

بيرشنجتون عربة منفردة فى حين خصص " للفاتنات الثلاث " عربة فخمة مجهزة بأسرة للراحة ، ومزودة بعدد من الخدم على استعداد لتلبية أقل طلب لكل منهن . وقالت لينا تحدث نفسها : يالهذا الترف !

وكان اللورد بيرشنجتون الرجل الوحيد بين الجماعة ، ولم تلبث لينا ان ادركت وهى تتابع الحديث ان المركيز هولم وايرل بندول لايملان الاقامة فى باريس فحسب وانما لسبب لاتعرفه ، لايشعران بأى ود نحو الدوق سافيرن .

وفى القطار ، بين لندن ودوفر أولا ، ثم من كاليه الى باريس لم يكن الحديث يدق الا عن اناس لاتعرفهم . وكانت الفاتنات الثلاث يذكرن دعابات كثيرة فاضحة عن أصدقائهن بصحبتها بضحكات ماجنة ، وأفسدت هذه الدعابات سرور لينا التى كانت تعتقد انها تعيش فى حلم ، فغيرت مكانها وجلست بجوار لوح من الزجاج وراحت تنظر الى المناظر التى تتتابع أمامها .

بدا لها شمال فرنسا تماماً طبقا للصورة التى تخيلتها عنه ، بقفارها الطويلة الممتدة والمختلفة كل الاختلاف عن الريف الانجليزى . وعندما بدأ نور النهار يتناقص رأت صورتها معكوسة على لوح الزجاج ، ولم تكد تعرف نفسها فى زى السفر الذى

www.elromancia.com

اعارته لها الكونتيسة بندولا . كان عبارة عن فستان رائع وقبعة مزينة بريش النعام ، وكانت فى غاية الأناقة . ولم تكن طريقة زيها تدل على انها فتاة شابة وانما على انها امرأة متزوجة .

وكانت كلما خلعت قفازها ترى فى اصبع يدها اليسرى خاتم زواج من الذهب ، وكان ذلك يبدو لها بمثابة انذار . كانت تلبس هذا الخاتم منذ خمسة أيام دون أن تعتاد عليه . ومكثت تتساءل : ماذا سيحدث فى باريس . وأحست برعشة من الخوف ، ولكنها لم تدر هل يرجع هذا الخوف الى ماسوف يقع فى باريس أو الى احتمال فشلها فى المهمة التى عهدت بها الليدى بيرشنجتون اليها . ثم قالت لنفسها مرة أخرى انها سعيدة حقاً بذهابها الى باريس . وانها ماكانت تحلم ابداً ان يكون معها مايكفى من نقود تتيح لها مثل هذه الفرصة .

لن يمكنها أبداً ان تشكر الليدى بيرشنجتون بما فيه الكفاية لمنحها فرصة القيام بهذه الرحلة . ولكن لم تلبث ان مرت أمام عينيها غمامة عندما تذكرت الدوق ، وسألت نفسها مرة أخرى : لماذا يجب أن أخدعه ؟

كانت قد خمنت أثناء ذلك ان الليدى وصديقتيها يدبرن مقلبا له ، ولكنها لم تستطع ان تفهم ما الذى يجنينه من ذلك .

وكانت الليدى بير شنجتون قد لقنتها مايجب أن تقول له : واذا سألك الدوق عن بيتك وزوجك فلا يجب أن تقولى له الكثير سليه عن نفسه ، وامتدحيه ، وقولى له انك سمعت عن فخامته وعن الكنوز التى يقتنيها .

قالت لينا : انك حدثتنى كثيراً عن قصوره واملاكه الشاسعة.

افلا تحدثيننى عنه هو بالذات ؟

سألتها كيتى فى حدة : وماذا تريدين ان تعرفى ؟

– بما انه سيكون مضيفنا يوم السبت ، وبما انى اظن اننى قد أخطىء ، حيث اننى أقوم بهذا الدور من أجله فأننى أشعر انه يجب ان أعرف عنه المزيد و . .

قاطعتها كيتى قائلة : لاحاجة بك الى ذلك .... ستعرفين كل ماتريدين معرفته عندما نصل الى فرنسا ، اسرعى الآن واستبدلى ثيابك والا فستتأخرين عن موعد العشاء .

ومضت الى مخدعها هى بالذات وهى تتكلم ، وقفلت الباب خلفها .

وادركت لينا عندئذ انها قالت شيئاً غير مناسب ، ولكنها لم تعرف ماالذى ضايق الليدى بيرشنجتون وقالت : سوف احاول

www.elromancia.com

معرفة كل شيء بنفسي .

وجال بخاطرها نفس الخاطر عندما حل الظلام ، وبعد وقت قصير دخل القطار محطة كاليه . وكانت قد عرفت ان الدوق دبر امر مبيتهم عند وصولهم الى باريس . وكانت تتوقع ان يكون ذلك في أحد الفنادق ، ولكنها لم تلبث ان علمت أنها ستبيت هي واللورد بيرشنجتون وزوجته في قصر لأبنة عم الدوق بالشانزليزية . أما المركيزة والكونتيسة فسوف تبيتان في قصر كبير ملك لعمته ويقع في أخر غابة بولونيا . وقالت المركيزة :

- سنكون كثيرين في هذا القصر ، وسيروق لنا ذلك رغم انني كنت افضل ان نكون أقرب الى وسط باريس . وانك لمحظوظة ياكيتي اذ تستقبلك الكونتيسة دي لاتور .

- نعم . ولكنني اخشى شيئاً ما رد فعل ايفون عندما ترى لينا .

بقيت ديزي لحظة حائرة ثم راحت تضحك وقالت : انها حقدت على كثيرا بسبب علاقتي بفابيان ، ولكنها لم تعد تعتبرني خطراً غير أني أشعر شعوراً بغيضاً بأنها لن تستحسن قدوم لينا .

سألتها ايفي : اتعنين ان ايفون مازالت تحاول الزواج بفابيان ؟

أجابت كيتي : طبعاً . انها تحبه منذ سنين . وكانت على يقين من انه سوف يمتثل لضغط العائلة ان عاجلاً أو أجلاً ويتزوجها ، وانهما سيكونان زوجين مناسبين ، والأكثر من هذا ان أراضيهما واملاكهما متاخمة .

قالت ايفي : اذا أردت رأيي فانها غبية لملاحقتها لفابيان فان ذلك لن يحمله إلا على التهرب منها .

كان في استطاعة لينا أن تنصت الى الحديث الدائر من الناحية الأخرى من العربة ، ولكنها تعمدت عدم الانصات له . وهي تحاول أن تجمع قطع اللغز الذي تعيش فيه منذ خمسة أيام .

كانت مدركة بانها ماضية الى باريس في ظروف غريبة ، وأنها ستذهب الى حفلة راقصة سوف تلتقي فيها ببعض العائلات الارستقراطية الراقية الفرنسية والانجليزية .

وكانت واثقة ان ذلك ما كان الا ليسر أمها كل السرور ، وكانت تقول لو ان أمي كانت موجودة لأصبح ذلك رائعاً .

كان يمكن لأمها أن تكون خير مرشد لها في باريس لأنها كانت تعرف قصة العائلات الفرنسية الكبيرة التي يقيم الدوق هذه الحفلة لها ، فبعض تلك العائلات عاشت قبل الثورة والبعض الآخر اكتسبت نبالتها وارستقراطيتها في عهد نابليون ، وهما نبالة

www.elromancia.com

وارستقراطية أصر النظام القديم على عدم الاعتراف بها .

وفكرت : اننى على يقين من اننى سأجد حيث سنقيم كتبا تتيح لى أن أعرف كل شىء عن الأشخاص الذين سألتقى بهم .

ولأن الفكرة أثارتها وراقت لها ، كفت عن الاصغاء الى الحديث الدائر فى الناحية الأخرى من العربة . وجرى بها الخيال الى الماضى وعرفت ان هذه الرحلة ليست رحلة استمتاع ، وانما رحلة سوف تغير مجرى حياتها .

* * * *

الفصل الرابع

هبطت كيتى ولينا من العربة ، وسارتا نحو البيت بينما تبعهما الخدم ومعهم عدد كبير من الصناديق الكرتون تحتوى على مشترياتهما من محلات مختلفة .

بدت التجربة للينا غريبة ، ليس لأنها عرفت أجمل محلات باريس فحسب ، وانما لأنها ترى امرأة تنفق مبلغاً جسيماً من النقود وقفت أمامه مشدوهة .

خطر لها أن من المستحيل أن تكون كيتى بحاجة الى كل تلك القفازات والمظلات والأحذية و غيرها من الأشياء المختلفة التى اشترتها . وفيما هى ترى كل ذلك بعينين متسعتين تساءلت ان كان سيأتى يوم تستطيع هى فيه أن تتسوق وتنفق مثل هذه المبالغ الطائلة . وكانت على يقين من ان ذلك لن يحدث أبداً .

وفيما هما تعودان الى الشانزليزيه قالت كيتى : تحدثت مع كل من صديقتى أمس ، ورأينا أن الأمر يكون مستغرباً لو أنك لم تخاطبى كل منا باسمها الأول . وهذا شىء سوف نمتنع عنه طبعاً عند عودتنا الى لندن .

www.elromancia.com

أجابت لينا : بالطبع .

وأدركت وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة ان مثل هذا الأمر سيتطلب من كيتى جهداً كبيرا ، فقد كان من الواضح أن " الفاتنات الثلاث " مازلن يفكرن فيها على أنها من طبقة أقل من طبقتهن ، وانها مجرد خادمة أتت من قبل مكتب مسز هانت للتخديم ، وقالت تحدث نفسها : او على الأقل ابنة فلاح .

وفكرت فى الغضب الذى يتملك أباها لو انه سمعهم يقلن ذلك فقد كان من المهين حقاً أن يتعرض نسبها وهو فخر أبيها وأمها ، لسخريتهن مع أنه أكثر عراقة من نسبهن . ولكن ولسخرية القدر ، رأت أنه جيء بها الى باريس لاللشيء الا لأن الفاتنات الثلاث خطر لهن أنها دون مستواهن .

أحست بالحيرة ، ولم تدر ماذا تفعل ، ولهذا قررت أن خير شيء هو ان تكف عن القلق وأن تتقبل الأمور على علاتها ، ولا سيما الفرحة برؤية باريس .

كان من المثير ان ترى ميدان الكونكورد ، وعندما بلغن ميدان فندوم رأت أنه كما تصورته تماماً ، فيما عدا أن كل شيء فى باريس بدا لها رائعاً وفاتناً ، وعندما بلغتا البهو كان رئيس الخدم ينتظرهما وقال يخاطب كيتى :

– عفواً ياسيدتى . ولكن الحلاق ينتظر منذ وقت طويل .

صاحت كيتى مرعوبة : نسيت أننى طلبت من الكسندر أن يأتى قبل الغداء . اسرعى الى الطابق العلوى يالينا ودعيه يهتم بك ريثما أستعد .

ولأن كيتى تكلمت بصورة ملحة ، ولأن لينا كانت قد عرفت يمكنالحلاق الفرنسى له وضعه الخاص فى المجتمع ، وان مامن امرأة يمكنها الاستغناء عنه ، فقد صعدت الدرج ركضا .

ويبدو ان سميث توقعت ان تكون هى أول من يصفف الكسندر شعرها ، لأنها وجدت شابا نحيلاً فرنسياً واقفاً أمام نافذة غرفتها ، يربت بمشط على كف يده فى صبر نافد . وقالت له فى فرنسية سليمة :

– اننى أسفة يامستر الكسندر ، ولكننى أنا والليدى بيرشنجتون نسينا الموعد ، ولايسعنى الا أن أعتذر .

نظر الكسندر اليها . كان من الوضح ان كلماتها لم ترق له كما راق له منظرها . وسألها : هل أنت الليدى ليتلتون ؟

أجابت : نعم . وأرجوك أن تحاول ان ابدو جميلة وأنيقة . خاصة وأننى أشعر بحكم معيشتى فى ريف انجلترا اننى قد أهملت شعرى كل الاهمال .

www.elromancia.com

ورفعت قبعتها ، وفضت عنها جاكتتها وهى تتكلم . ووضع الكسندر على كتفيها وشاحاً من الموسلين الأبيض ، ثم جلست فوق المقعد المرتفع أمام طاولة الزينة . وفك شعرها . وكانت قد صففته بنفسها فى الصباح كعادتها ، وكان يتكلم مبديا استهجانه وهو يفعل ذلك مما جعلها تكتم الضحك .

كان شعرها الأشقر غزيراً ورقيقاً كالحرير ، وعندما تهدل فوق كتفيها بلغ وسطها تقريباً .

- كيف طاوعك قلبك على معاملة شعرك بهذه الطريقة البشعة .

ابتسمت لينا وقالت : أخشى أننا لانهتم ، نحن الانجليزيات بشعرنا كما تهتم به الفرنسيات .

رفع الكسندر يديه وقال : ان الانجليزيات امرهن عجيب حقاً .

وأخذ فرشاة وراح يسرح شعرها حتى بدا وكأنه يرقص فى الهواء . وكما لو أنه ينبض بالحياة فجأة ، ثم وضع الفرشاة فوق طاولة الزينة وقال :

- علينا أن نقرر الآن ... هل تريدين ان أصفف شعرك ياسيدتى طبقاً للمودة الحديثة . بعقدة صغيرة فوق قمة الرأس ، أو

أن اسرحه بالطريقة الجديدة التى ظهرت فى باريس ولم تعرفه انجلترا بعد .

أجابت لينا : لا أدرى حقاً .

وفجأة رأت ان هذه مسألة يجب أن تستطلع فيها رأى كيتى فبعد كل القلق الذى عازته بخصوص الثياب التى يجب أن تظهر بها ، كانت على يقين الآن من أن كيتى سيكون لها رأى خاص فى تصفيف شعرها . ونهضت فجأة وقالت :

- هل لك ان تنتظر لحظة ياسيدى . سأسأل الليدى بيرشنجتون عن رأيها ، فانها ستغضب ان لم أفعل .

ورمته بابتسامة رقيقة وهى تعتقد انه سيفهم ورطتها . ثم غادرت الغرفة ، وأسرعت الى مخدع كيتى ، ولكنها دهشت اذ لم تجدها . وقالت لها سميث انها لم تصعد بعد فقالت تحدث نفسها : لاريب انها تستكمل خطابها .

وهبطت الى البهو ، وفتحت باب الصالون حيث رأت كيتى تدخل عند قدومها . ورأتها واقفة فى أخر الغرفة فأسرعت اليها وهى تقول :

- يجب أن اسألك رأيك . يقول الكسندر انه يمكنه تصفيف شعرى بطريقة جديدة لم يرها أحد فى باريس بعد تقريباً . ولكننى

www.elromancia.com

أخشى الاتوافقك .

ولم تدرك ان كيتى لم تكن بمفردها ، وان معها زائرا الا بعد ان اقتربت منها . فقد كان هناك رجل يجلس فى مقعد ، موليا ظهره للباب ، نهض واقفاً وقال فى انجليزية تشوبها لكنة خفيفة :

– ارى ان هذه مشكلة عويصة .

لهثت لينا فى دهشة عندما تحققت من وجوده . وما أن نظرت اليه حتى تأكدت على الفور أنها أمام فابيان ، دوق سافيرن ، الذى طالما سمعت عنه .

كان يبدو تماماً كالصورة التى رسمتها له فى ذهنها ، لم يكن مديد القامة جداً ، وانما نحيل وأنيق . ولو أنها عركت الحياة لقالت عنه انه يتدفق رجولة ، فشعره أسمر وغزير . ومع أنه لم يكن وسيما تماماً . فقد كانت ملامحه غريبة تظل محفورة فى الذهن ، وتجعله يبدو مختلفا عن كل الرجال الذين رأتهم حتى الآن . كانت جنسيته الفرنسية واضحة كل الوضوح . وما كان فى مقدور أحد ان يعتقد غير ذلك . وبدت عيناه تتحركان وترتسم على شفتيه ابتسامة ساحرة جعلت لينا تحس بطريقة غريبة أنها تعرفه منذ وقت طويل .

كان كأنه رجل تصورته فى خيالها ولم تتوقع أبداً ان تراه

فى الحقيقة ولم تلبث ان ادركت انها لابد من وضع غير لائق بالوشاح الأبيض . وبشعرها المتهدل فوق كتفيها ، فنظرت الى كيتى وهى تبتسم فى عصبية وقالت :

– اننى آسفة ... اننى أعتذر ... ظننتك وحدك .

اجابت كيتى : ان لدى زائراً يالينا . اقدم لك الدوق سافيرن ، مضيفك مساء الغد ... فابيان ، أقدم لك الليدى ليتلتون التى قلت لك اننى اصطحبتها معى .

قال الدوق وهو يمد يده : لى الشرف ياسيدتى .

وضعت لينا يدها فى يده . وعندما رفعها الى شفتيه أحست بأن هناك ذبذبة فى أصابعها بدت كأنها تستجيب للبريق الذى فى عينيه . وفكرت : أنه رجل مسيطر جداً وواثق جداً من نفسه . وسحبت يدها مسرعة وخاطبت كيتى قائلة : التمس معذرتك .

وهمت بالانصراف ولكن الدوق استوقفها قائلاً : مهلاً . اننا لم نقرر بعد كيف تكون تسريحة شعرك ، وانتهز هذه الفرصة وأقول لك انه جميل جداً كما هو الآن .

قالت كيتى فى حدة : ولكن لايمكن ان تظهر هكذا فى الحفلة الراقصة .

قال الدوق : كلا بالتأكيد . ولكن هنئ الكسندر نيابة عنى فقد وجد الموديل المثالى لتسريحته الجديدة . سأنتظر بصبر بالغ لكى اراها .

وأمنت كيتى على قوله قائلة : ان الدوق على حق . قولى لالكسندر ان يبذل قصارى جهده .

ادركت لينا أنها تصرفها . وكان من الواضح ان الليدى بيرشنجتون تريد الانفراد بالدوق فقالت وهى تبذل جهدها لكى لاتفارق عينيها .

كيتى : شكراً .

وغادرت الصالون مسرعة ومضت الى غرفتها . ودفعت الباب وهى مبهورة الأنفاس ، ليس بسبب سرعتها فى الصعود وانما لانفعالها بلقاء الرجل الذى تسبب فى قدومها الى باريس .

وراحت تفكر والكسندر يهتم بشعرها ، وراح وجه فابيان يلاحقها . مارأيه فيها ؟ وهل ستحقد عليها الليدى بيرشنجتون لاقتحامها الصالون قبل ان تتأكد من انها وحدها ؟ وخاطبت نفسها قائلة : نقطة سيئة فى غير صالحى . ولكن لم يكن هناك أى داع لمخاوفها ، فعندما اقبلت فى اللحظة التى كان الكسندر يضع لمساته الأخيرة على شعر لينا كانت معتدلة المزاج . وهنئت الحلاق

فقد بدت لينا مختلفة جداً عن مظهرها السابق واحاط شعره بوجهها وبدا متألقاً مع احتفاظه بحلاوته ورقة ملامحه .

وفيما بعد ، وبعد أن فرغتا من تناول الطعام فى ساعة متأخرة وأصبحت وحدها مع كيتى قالت فى تواضع :

- اننى آسفة حقاً فقد ازعجتك أثناء النهار ... اعتقدت انك وحدك .

قالت كيتى : حسناً . الآن وقد التقيت بالدوق فما رأيك فيه؟

- اوه .. انه وسيم جداً ... وأظن ...

رمقتها كيتى بنظرة صارمة وقالت : هذا ما تظنه كل النساء . ولكن حذار ان تتصرفى بحماقة .

رفعت لينا اليها عينين مشدوهتين واستطردت كيتى : قلت لى عند اول لقاء لنا إنك فتاة محترمة ومهذبة . والآن ، وقد اتيت بك الى باريس فاننى انصحك ان ألاتنسى المبادىء التى تربيت عليها والا فسوف اندم لأننى أتيت بك الى باريس .

اصطبغ وجه لينا واحتجت بقوة : لم يخطر لى ابداً ان اسىء التصرف .. اذا كان هذا ماتعنين .

قالت كيتى فى ايجاز : ماعليك .. انك تعرفين جيداً اننى اثق بك ، ولكن المعروف عن الدوق انه يعتقد ان مامن امرأة

www.elromancia.com

تستطيع أن تقاومه . وأكثر النساء يعرفن عنه ذلك ، وهذا يكلفهن الكثير .

ادركت لينا من لهجتها أنه كان هناك فى وقت من الاوقات علاقة حب بينها وبين الدوق . لم تتاكد ابداً من نوع تلك العلاقة ولكن خطر لها انها لابد ان تكون علاقة مزمومة . ثم تساءلت ان كان الدوق قد غازل ديزى وايفى وارتبط معهما بعلاقة مذمومة هما الآخريين . ووضح لها الام من الطريقة التى تكلمن بها عنه ، ومن احاديثهن المستمرة عنه انه كان صديقاً حميماً لكل منهن .

ولكنهن كن متزوجات ، ولكل منهن زوج . فكيف رضين ان ترتبطن بعلاقة غير حميدة بذلك الرجل ؟

وعرفت وهى على مائدة الغداء انها سترى الدوق مرة أخرى ، وبأسرع مما كانت تتوقع . فقد قالت كيتى لها :

– قال لى الدوق صباح اليوم ان الديكورات قد اقيمت لحفلة الرقص ، وهو يريد ان يرينى اياها .

قالت لينا : سأنتظرك هنا .

اسرعت كيتى تقول فى حدة : ماهذا الهراء . ستأتين معى

ومع ذلك فقد بدا ان الفكرة بعيدة جداً عن ان تروق لها .

ومع ذلك فقد طلبت من لينا ان تمضى وترتدى ثوباً من ثياب بعد الظهر الرائعة التى أعطتها ايفى لها .

كان ثوباً غالياً وبسيطاً فى نفس الوقت . وعندما وضعت لينا قبعتها فوق رأسها خطر لها ان مامن أحد قد يصدق انها متزوجة منذ خمس سنوات ، وانها هى الليدى ليتلتون حقاً .

ألقت كيتى اليها نظرة كلها تقدير واعجاب وهى تهبط الدرج . واذ لم تتلق أى تعليق ادركت انها قد أخطأت فى ظنها .

وكان قصر الدوق قريباً بحيث أنه كان فى مقدورها الذهاب اليه سيرا على قدميها ، ولكن كانت هناك عربة مكشوفة تنتظرها أمام الباب وبلغا القصر فى عظمة وجلال ، وقال الدوق وهو يستقبلهما :

– اننى فى غاية السرور لرؤيتك ثانية ياليدى ليتلتون .

وطبع قبلة على يد كيتى اولا . ولاحظت لينا أنه ضغط على قفازها بشفتيه ، فى حين ان مدام دى بوفيه التى علمتها اللغة الفرنسية كانت قد قالت لها ان التحية الفرنسية العادية انما هى مجرد لمسة روتينية ، واكد لها ذلك شكوكها فى ان الدوق وكيتى كانا على علاقة غرامية . ولم تندهش لينا حقاً لأن الليدى بير شنجتون كانت جميلة جداً . وقال الدوق :

www.elromancia.com

- أريد رأيك الآن ياكيتى . ورأيك انت أيضاً ياليدى ليتلتون ، فاننى أريد ان تظل هذه الحفلة الراقصة عالقة بالأذهان الى ابعد مدى .

وكان يتكلم وهو يقطع الطريق من البهو الى الطرقة العريضة المفروشة بأثمن الرياش التى يرجع عهدها الى عصر لويس الخامس عشر ، وبموائد من الرخام المرصع وقد الصقت بجدرانها لوحات لأجداد أسرة سافيرن .

انبهرت لينا ، واذ رأت كيتى تنخرط فى حديث رقيق وحميم مع الدوق انتهزت الفرصة لكى تردد البصر حولها وتمتع عينيها بكل ماتراه وتطبعه فى ذهنها وهى تقول لنفسها : لن تتاح لى الفرصة لكى أرى هذه الروائع مرة أخرى .

كان من حظها حقاً ان ترى قصر الدوق قبل ان يجتاحه المدعوون . وكانت قاعة الرقص كبيرة ، تقع فى أخر المبنى الرئيسى وتطل على الحديقة . ومصممة بشكل هندسى جميل ، حرص الدوق على ان ينطلق كل ما فيها بالجمال والروعة . فبدلا من اكاليل الزهور التى كانت لينا قد قرأت عنها فى الكتب كانت هناك لوحات على الجدران تمثل كاتدرائية سان مارك . وعندما ألقتا نظرة من نافذة قاعة الرقص لم يسع كيتى الا أن تطلق

صيحة اعجاب ، فقد تحولت الحديقة الى بحيرة بها زوارق من نو الجوندول ، أقيم فى أخرها جسر كان صورة مطابقة لجسر التنهدات . وصاحت كيتى :

- فابيان ... لم يسبق لى أبداً أن رأيت مثل هذا المنظر الرائع .

قال : كانت نيتى دائما اقامة حفلة راقصة فى مدينة البندقية ، ولكن لما كان من المتعذر على ان انتقل بجميع اصدقائى الى هناك فقد رأيت ان الحل الوحيد هو أن أنقل البندقية الى باريس .

قالت كيتى : هذه الفكرة ليست رائعة فحسب ، وانما هى رومانسية جداً .

ونظرت الى الدوق من تحت أهدابها وهى تتكلم ، ولكنها رأت انه ينظر الى لينا ، فتوترت شفتاها . وكما لو أنها أرغمت نفسها . فقد خرجت من النافذة الكبيرة لقاعة الرقص كما لو أنها تريد أن تستكشف الحديقة . وقال الدوق :

- مارأيك ياليدى ليتلتون ؟

أجابت لينا : طالما تمنيت أن أزور البندقية . ورأى الآن كأن حلمى قد تحقق .

ابتسم الدوق وقال : انتظرى حتى ترينها فى الليل ، على ضوء المصابيح ، وزوارق الجندول تتحرك فى البحيرة ونحن نرقص على أنغام العود والكمان .

صاحت لينا : كل ما أتمناه الآن هو أن أبقى على قيد الحياة حتى مساء الغد .

ضحك وقال : انا واثق انك ستكونين على قيد الحياة . ومن يدرى ؟ ... ربما تعلمك بندقيتى أن تحب بطريقة اخرى غير التى أحببت بها حتى الآن .

لم تنظر لينا اليه مستفهمة كما يخيل اليه ان كل امرأة قد تفعل ، وانما ، بدلا من ذلك ، قالت كما لو أنها تتابع تسلسل أفكارها :

" البندقية فى أروع بهائها ، فوق عرش من مائة جزيرة "

- اوه ... اوه ... أحد ابيات الشاعر بايرون .

أجابت لينا : آه ... نعم وسأستطع أن أقول مساء غد ، كما قال هو " وقفت فى البندقية ، فوق جسر التنهدات .. قصر منيف فى ناحية ، وسجن مخيف فى الناحية الأخرى .

قال الدوق : كلا ، ليس هنا أى سجن ، ما لم يكن السجن الذى تبحث عنه كل امرأة طبعاً .

وساد صمت قصير قبل ان تدرك لينا أنه يتوقع منها رداً فسألته :

- ماذا تعنى ؟

- اعنى سجن الحب باليدى لتيلتون .

ولأول مرة منذ ان انتقلوا الى قاعة الرقص ، نظرت لينا إليه. كان فى عينيه الغامضتين تعبير ازعجها . وفكرت : انه يحاول أن يغازلنى ، وقد توقعن ان يفعل هذا .

وحولت عينيها عنه . وخطت نحو النافذة ، وقالت : قل لى ، كيف استطعت أن تقيم هذه البحيرة الاصطناعية من غير ان تتلف الحديقة ؟ ... لاريب ان هذا اقتضى عملا هندسياً شاقاً ؟

وخرجت من النافذة بدورها ، وهى تتكلم . والفت نفسها فى شرفة تشرف على الماء . وكانت كيتى واقفة تتأمل جسر التنهدات . وقالت عندما انضمت لينا اليها :

- يجب ان نهنىء الدوق على هذه الفكرة البارعة .

قالت لها لينا : كنت أتساءل كيف أنجز هذا .

قال الدوق : ان اهتمام الليدى ليتلتون بالانجاز يفوق اهتمامها بالنتيجة .

وخطر للينا أنه يسخر منها . وقالت كيتى : سيبدى الجميع

www.elromancia.com

اعجابهم بهذا المنظر ليلة الغد ، وسيجدونه رومانسياً .

قال الدوق : لاحاجة بنا لانتظار الرومانسية حتى الغد ، فان بيير دى كاستيلانى كان ينتظر عودتك بفارغ الصبر ، وقد اقترح ان نتناول العشاء الليلة فى قصره على ضوء النجوم . وسأحاول أن أشرح لليدى ليتلتون عندئذ كيف تبقى النجوم فى السماء من غير أن تقع فوقنا .

قالت كيتى متهكمة : وأنا واثقة ان شرحك سوف يفتنها .

قال الدوق : هل نلتقى اذن فى الساعة الثانية ؟

اجابت كيتى : سوف يروق لنا ذلك طبعاً . ولكننى أخشى أن ألايستطيع جورج الانضمام الينا ، فهو على موعد سابق مع رجل يتمنى أن يتحدث معه عن الجياد .

وضحكت ضحكة قصيرة ثم اردفت : ان جورج لايأتى الى باريس الا للتحدث عن الجياد فحسب .

قال الدوق : أعلم ذلك ، وقد التقيت به منذ وقت قصير فى النادى . وقال لى أين هو ذاهب هذا المساء .

قالت كيتى فى مرح : وكنت على يقين اذن أننا ، سنقبل دعوتك ، أنا ولينا ؟

- بل كنت على يقين انكما من الكرم بحيث لاترفضان .

كانت براعة تبادلهما الحديث الشىء الوحيد الذى راق لها خطر لهما كأنهما يتبارزان ولكن لم يكن لديها أية فكرة عن سبب المبارزة ، وألقت نظرة من فوق حاجز الشرفة ، ورأت أشعة الشمس تتألق على صفحة الماء . وكان المنظر رائعاً حقاً . ورأت فى ضوء النهار أن البحيرة اصطناعية وأن الماء ليس عميقاً والجندولات تبدو حقيقية . وتساءلت ان كان الدوق قد استحضرها من البندقية أو اذا كان قد اشتراها أو أشتراها من باريس .

أرادت أن تلقى عليه السؤال ولكنها خشيت سخريته .

كان من الواضح أنه يتوقع من كل أحد أن يقول له ان المنظر الذى انجزه رومانسى دون أن يهتم بالناحية الفنية فى كيفية انجازه . وعادت لينا تقول لنفسها يجب ان اتعلم الاصغاء وألا أتكلم ، ولكنها كانت تعرف ان ذلك سيكون أمراً متعذراً فقد كانت هناك أشياء كثيرة كان الفضول يدفعها لكى تعرفها .

ومكثنا لحظة أخرى ثم قالت كيتى ان وراءهما أشياء كثيرة ، وأنهما متواعدتان على اللقاء بديزى وايفى ، فقال الدوق :

- سررت جداً اذ رأيتهما مرة أخرى .

سألته كيتى فى حدة : هل التقيت بهما ؟

- اننى زرتهما صباح اليوم قبل خروجهما للتسويق ، كما

www.elromancia.com

تحرص كل امرأة ان تفعل عندما تأتى الى باريس .

قالت كيتى مقطبة : خاب أملى لأنك سبقت بزيارتهما .

أجاب الدوق : اردت ان أقترح عليك المجىء صباح اليوم ، ولكن لسوء الحظ لم ينجز العمال العمل الا قبيل الظهر .

رأت لينا ان كيتى سرها هذا الرد . ومرة أخرى طبع الدوق قبلة على يد كل منهما ثم تقدمهما الى العربة التى تنتظرهما .

وقالت كيتى والعربة تنطلق بهما فى ميدان الكونكورد : مازالت هناك أشياء أريد شراءها .

وإذا لزمت لينا الصمت سألتها بعد فترة : حسناً ... مارأيك فى الدوق ، وفى القصر ؟

- لاريب أنه ثرى ... وثرى جداً ؟

- هو ذلك .

- اعتقد ان البعض قد يستنكر منه انفاق كل تلك النقود من أجل حفلة راقصة لن تستمر أكثر من ليلة واحدة .

- هذه ملاحظة غير لائقة ابداً ، ولايصح ذكرها لفابيان أو لغيره .

- اننى آسفة . ساكون حريصة جداً فى المستقبل .

قالت كيتى : أرجو ذلك . فقد تكلفنا الكثير ، واستقطعت

أنا الكثير من وقتى للمجىء بك هنا . وأقل ماعليك الآن هو أن تقومى بالدور الذى عهدنا به اليك بكل ذكاء .

وبعد ان فرغت كيتى من شراء ماارادت ، عادتا الى البيت ووجدتا ديزى وايفى فى انتظارهما ، وأعربت كيتى لهما عن سرورها للنجاح الذى أحرزته لينا ، واستطردت تقول :

- ونحن مدعوتان للعشاء معه الليلة . وقد زعم ان بيير يتلهف لرؤيتى . ولكننى واثقة تماماً أنه زعم ذلك لأنه يريد ان يرى لينا مرة أخرى .

قالت ديزى : أقبل فابيان لزيارتنا صباح اليوم .

- أعرف ذلك . انه أخبرنى ، وقد أرانى الديكور الذى أعده للحفلة الراقصة ، لأنه أراد أن يعرف رأيى .

بدت كأنها عقدت النية على تحطيم صديقتيها . ثم قالت كما لو أنها تذكرت وجود لينا :

- جرى كل شىء كما توقعنا تماماً ... سأخبركما بما حدث بالتفصيل فيما بعد .

تأكدت لينا أنها لن تقول المزيد الا بعد أن تصعد هى الى غرفتها لكى تأخذ قبعتها وقفازها . وتباطأت فى غرفتها عامدة وأصلحت من زينتها لكى تبدو جميلة أثناء العشاء ، الى ان طرق

www.elromancia.com

أحد الخدم الباب وقال لها ان الشاى جاهز فهبطت الى غرفة الاستقبال وهى واثقة ان الفاتنات الثلاث يتكلمن عنها . وعندما دخلت الغرفة ساد الصمت فجأة فأدركت أنها على حق ، ورأتهن يتأملنها بعيون ناقدة حاقدة وهى تتقدم منهن ولم تدر لماذا هذا الحقد بالتدقيق .

* * *

كان قصر الكونت يقع فى شارع سان أنوريه ، ولكنه كان أصغر من قصر الدوق وجميلاً جداً . وكانت الليلة حارة ، وكما وعد الدوق تناولوا العشاء فى الحديقة بين الأشجار ، والنجوم من فوقهم ، وفوق المائدة شمعدان ذهبى .

أحست لينا بجمال المكان ورومانسيته ، ولكن كيتى أعربت عن ذلك وامتدحت كل شىء قبل ان تنطق هى بكلمة واحدة .

كانت الكونت اكبر سنا بكثير عما توقعت . وكان مسرورا برؤية كيتى . وقبل يديها الاثنتين ، الواحدة بعد الأخرى ، بصورة لها معناها ، ثم قال :

- أنت أجمل مما كنت اتذكر ياجميلتى . وقد تحققت ان من المستحيل أن أنساك

سألته كيتى : ولماذا أردت أن تنسانى ؟.

- لكى استعيد سلام ذهنى . ولأننى لم أستطع أن أنسى جمالك ، رغم كل من عرفت من نساء .

حسبت لينا مرة أخرى انهما يتكلمان كما لو أنهما يقومان بدور فى مسرحية . وراحت تصغى اليهما وهى مشدوهة الى أن تدخل الدوق وقال :

أعيرينى اهتمامك ياليدى ليتلتون . أريدك ان تحدثينى عن نفسك .

أجابت : بل أوثر أن تكلمنى أنت عن نفسك . أظن ان تاريخ اسرتك كثير جداً .. هل هناك كتاب أستطيع أن أعرف منه كل شىء عن اسلافك ؟

قال الدوق : اذا كنت تهتمين بذلك حقاً فاننى أستطيع أن أذكر لك كل ماتريدين معرفته .

أجابت لينا : ارجوك ان تفعل اذن . هل كنتم جزءاً من تاريخ فرنسا لقرون كثيرة ؟ .. وهل أعدم أجدادك أثناء الثورة ؟

ضحك الدوق وقال : هذه أول مرة اتلقى فيها مثل هذه الأسئلة من فتاة ساحرة مثلك .

القت لينا نظرة سريعة الى كيتى ، وهى تخشى ان يكون تصرفها هذا قد أثار غضبها ثم قالت :

- هل ... هل أخطأت بفضولى هذا ؟

www.elromancia.com

أجاب الدوق : ابداً ... انما أثرت دهشتى وأطريت غرورى .

قالت لينا : ان التاريخ يفتننى دائماً . لو أننى عرفت اننى قادمة الى باريس لقرأت كتباً كثيرة عن القوم الذين سألتقى بهم ، فان ذلك كان يتيح لى أن أفهم أكثر .

– اذن فأنت تريدين أن تفهمينى ؟

قالت لينا من غير تفكير : ليس كرجل ، وانما كسيد اسرة .

ولكنها لم تلبث ان عضت شفتيها وقد أدركت أنها تعرضت مرة أخرى لشىء لايجب أن يقال ، ونظرت الى الدوق فى قلق خشية من ان يرميها بالفظاظة . ولكنه قال :

– انك امرأة غريبة جداً ياليدى ليتلتون ، وانا أعنى حديثك ولست أعنى شخصك .

سألته : ولماذا ؟

– لأننى وأنا أنظر اليك ، كنت أتصور انك تتطلعين كثيراً الى سماع المديح عن جماله . ولكنك بدلا من ذلك تبدين اهتماماً بالأعمال الهندسية وبأشباح الماضى . ولاأعتقد ان كل ذلك أكثر أهمية من الذين يعيشون ويحيطون بك .

قالت : أخشى أن ملاحظاتك هذه ... تعنى أنك تجدنى فظة.

أجاب الدوق : كلا ، ابداً ، وانما لم أتوقع منك ذلك .

ودعينى أقول لك ان كل ماهو غير متوقع يروق لى لأنه شىء يندر وقوعه .

سألته : وما اهتمامك فى الحياة ؟

وأرادت ان تضيف " فيما عدا النساء ، ولكنها أدركت أنها ستكون فظة فعلاً عندئذ ، وان ذلك سيثير غضب كيتى ، ولكن الغريب ان الدوق قال وكأنه يعرف ما يدور فى ذهنها :

– هل يجب أن أعدك بأننى لن أبدى رأيى فيك مهما تكن أسئلتك غير متوقعة وأننى لن أشعر بأية غضاضة ؟

– وهل أنت واثق من أنك تستطيع الوفاء بهذا الوعد ؟

وتأكدت من أن كيتى فى شغل شاغل مع الكونت وأنها تتحدث معه فى صوت خافت قبل أن تقول مستطردة :

– انت تعرف ... ان كل هذا ... جديد بالنسبة لى ، ومختلف تماماً عن الحياة التى كنت أحياها ، قبل أن أرتبط بالصداقة مع كيتى .

– قالت لى أنك كنت تعيشين فى الريف .

– هذا صحيح .

– ماالذى حملك الى المجىء الى باريس ؟ .. هل تشاجرت مع زوجك ؟ ....أو هل تهربين منه ؟

لم تكن هاربة من زوج ، وانما من سير هكتور ، وهو بكل

تأكيد أفظع من أى زوج ممكن . وكان الدوق يراقبها . وإذا رآها تلزم الصمت قال :

- اذن فأنت هاربة ؟

- لم ... أقل هذا .

- اننى أستطيع قراءة أفكارك .

اسرعت لينا تقول : أرجوك الاتفعل .. اذا استطعت ... فهذا شىء لايجب ان تفعله .

- ولماذا ؟

- لأن ذلك سيكون تدخلاً فى حياتى الخاصة ، ولا أريد أن يعرف أحد فيم أفكر .

- وهل أفكارك مشينة ؟

- كلا ... كلا بالطبع . ولكنها أفكارى . واذا لم يستطع أحد ان يملك أفكاره فلن يكون سيد نفسه ابداً .

- ومع ذلك فأننى أجد من الممتع ان أقرأ أفكارك باليدى ليتلتون ، وعلى كل حال فهذا شىء يستطيع أى رجل يحبك أن يفعله بسهولة .

- ولكننى مازلت اريد الاستئثار بها وحدى .

أجاب الدوق : ولكن الحب ليس كذلك .

- ولم لا ؟

- عندما يحب الرجل حقا فأنه يصبح جزءا من المرأة التى يحبها . وبذلك لايكون هناك انقسام ولا حواجز ، فالحب له كل القدرات .

قالت لينا : ربما ... ولكننى أجد هذه القدرات مخيفة بعض الشىء .

كانت تفكر بصوت مسموع ، ولهذا أحفلت عندما سمعته يقول :

- اذن فانت لم تحبى أبداً .

تذكرت لينا بعد فوات الأوان زوجها المزعوم والمفروض انه يصطاد فى اسكتلندا ، والأكبر منها سنا والذى لايهتم بها بصفة خاصة .

ارتكبت هفوة كان لابد لها ان تستدركها ولهذا قالت فى استخفاف :

- لاشك ان الحب هو نفس الشىء للجميع ، ولكن لكل امرىء مفهومه الخاص به . وأنت تتكلم من وجهة نظرك أنت ، ولكنه يختلف تماماً عن مفهومى انا عنه .

أجاب الدوق : اسمحى لى أن أشك فى ذلك . ولكن قد يكون من المثير التأكيد مما تقولين .

* * * *

www.elromancia.com

الفصل الخامس

عندما فرغوا من العشاء ، نهضت كيتى والكونت ، وابتعدا بين ظلال أشجار الحديقة . وكان الخدم قد رفعوا مائدة الطعام ، واستبدلوها بأخرى منخفضة قليلاً القى الدوق عليها كأس الكونياك ثم اضطجع فى مقعده الوثير الى الخلف ، وقال يخاطب لينا :

– انك تثيرين حيرتى . ولكننى اعتقد ياليدى ليتلتون أنك لست كما تتظاهرين تماماً .

رأت لينا أن قوله هذا دليل على نفاذ بصيرته وأن فيه خطراً فى نفس الوقت ، فقد كانت على ثقة تامة بأنه اذا خمن أنها تقوم بدور فان ذلك قد يغضبه أشد الغضب . وقالت :

– ولماذا تعتقد ذلك ؟

– لسبب واحد ، وهو انك تبدين صغيرة السن جداً . وقد قالت لى كيتى أنك متزوجة منذ خمس سنوات ، ولكننى لاأصدق ذلك مالم يكونوا قد زوجوك وأنت فى المهد .

ضحكت وقالت : أنك تطرينى ياسيدى .

قال : هلا تركتنا هذه الشكليات ؟ .. أريد أن أدعوك لينا ،

فهو اسم يليق بك ، وانت تتألقين كالنور الذى سميت به .

– اذن فأنت تعرف ان اسمى معناه النور ؟

سألها الدوق : هل تتهمينني بالجهل ؟ اننى تلقيت دروساً فى الكلية الانجليزية ثم التحقت بجامعة انجليزية .

قالت لينا : انك كنت سعيداً جداً اذن ، فلا شك أنك تعرف انهم ، فى انجلترا ، لايهتمون بتعليم البنات .

– ومع ذلك فقد تعلمت أنت ؟

– نعم . فقد أصرت أمى على ذلك ، رغم اننى لم اذهب الى أية مدرسة ، فقد أشرف على تعليمى نخبة ممتازة من المدرسين ، وادين بالكثير الى تلك التى علمتنى اللغة الفرنسية .

– وهل علمك زوجك الحب ؟

توترت لينا ، فلم يكن يحق له أن يحدثها بهذه الطريقة . ومع ذلك . ولسبب ما ، لم تفهم لماذا لم تشعر بالاهانة . وكل ماشعرت به شىء من الخجل لاغير . واذ رأى الدوق أنها لم تعلق استطرد يقول :

– لماذا تتهربين منى ؟ ولماذا لانتكلم عن الحب ، وهو النهاية المحتومة لكل حديث بين الرجل والمرأة ؟

تغلبت لينا على خجلها وقالت : ربما بين رجل فرنسى

www.elromancia.com

وامرأة فرنسية .

قال : لاريب ان الفرنسيين مختلفون عن الانجليز ، ولكن النساء نساء رغم انتمائهن الى اى بلد .

قالت لينا : ربما أكون استثناء . ولكننى أفضل ان نتحدث فى أشياء أخرى .. لم تحدثنى بعد عن أجدادك .

– ان اجدادى طواهم الموت ، فى حين أننى حى .. حى أرزق . انظرى الى ياالينا ... أريد أن تنظرى الى .

أحست أن من الخطأ أن تفعل ، ولهذا حولت وجهها الى السماء وهى تقول :

– أظن أنك وعدتنى ... أن تحدثنى عن النجوم .

قال الدوق : اننى لا أهتم بالنجوم فى الوقت الحاضر ، وانما بك أنت .

كان فى الطريقة التى تكلم بها ، وفى عمق صوته شىء جعل الرعشة تسرى فى كيان لينا ، وكانت مفتونة به أثناء العشاء وهو جالس الى جوارها ، فان ذبذبة يدها التى أحست بها وهو يلمسها راحت تكبر وتكبر حتى أحست أنه رغم عدم تحركه يقترب منها ، وانها لن تستطيع ان تتجنبه .

وعادت ونظرت الى الحديقة على أمل أن ترى كيتى تعود ،

هى والكونت ، ولكن لم يظهر لهما أى أثر ، وقال الدوق فى هدوء تام :

– أظن أنك خائفة من بقائك وحدك معى . فلماذا هذا الخوف ؟

وانتظر منها رداً . وقالت بعد لحظة : قلت لك .. اننى قضيت حياة هادئة .. فى الريف ... ولم اعتد .. على الحياة التى تحياها .

– انك لاتعرفين عن حياتى إلا ماسمعت عنى ، وأستطيع أن أتصور ذلك تماماً ... ولكن دعينا ننسى الماضى ، ولنتحدث عن الحاضر فحسب

أسرعت لينا تقول : وهو مثير جداً بالنسبة لى . لأننى سأحضر غداً أولى حفلاتى الراقصة .

خيم صمت قصير قبل أن يقول الدوق : هل هذا صحيح ؟

– قلت لك كنت أعيش فى الريف .

– ولكن مظهرك لايدل على ذلك على الاطلاق .

عرفت وهو يتكلم أنه يشير الى ثيابها ، وتساءلت ماذا يكون رد فعله لو أنها قالت له أنها ثياب قديمة قدمت لها من أجل الرحلة الى باريس . ولكنها قالت :

www.elromancia.com

– أنك تتكلم عنى من جديد ، فى حين إننى أريدك أن تتكلم عن نفسك .

قال الدوق : حسناً . سأتكلم عن نفسى ، وأقول لك أنك عندما جئت إلى غرفة الاستقبال صباح اليوم كنت جميلة جداً ، ولكننى أحسست كما لو أننى رأيتك من قبل ، وأنك كنت جزءاً من أحلامى .

كان ذلك هو نفس الاحساس الذى أحست به لينا ، ولكنها قالت لنفسها ان الدوق قد كرر كلماته هذه لكل امرأة غازلها ، وقالت فى صوت مسموع :

– كان من المتوقع أن التقى بك لأول مرة غداً وأنا مرتدية أجمل ثيابى ومجوهراتى .

قال الدوق : ماكنت لتكونى أجمل مما رأيتك ، بشعرك المتهدل فوق كتفيك . وقد أحسست عندئذ برغبة شديدة فى أن ألمسه يالينا .

ومن جديد كان فى عينيه تلك اللمسة العميقة التى أحست بها كما لو كانت نغمة من الموسيقى ، فى كيانها . وأسرعت تقول :

– أرجوك .. لايجب ان تتصرف هكذا .

قال : هكذا ؟ ... ماذا تعنين ؟ .. أنا لم ألمسك رغم اننى

اريد ذلك .

قالت لينا فى بطء : أظن أنك تحاول مغازلتى .. وهذا شىء ... لا أسمح به .. فأنت تعرف ان لى زوجاً .

– وهو لم يعلمك ولاحتى القليل عن الحب .

سكتت لينا . وقال بعد لحظة : ان الأزواج الذين يهملون زوجاتهم ، وخصوصاً اذا كن على جمالك ، لايستحقون أى اهتمام ، واذا كنا هنا نتغازل كما تقولين ، تحت النجوم ، فمن الذى يضره ذلك ؟

قالت : أنا .. أنا .. فأننى أعرف أن هذا شىء لايصح .

ولم يسعها إلا أن تفكر ، وهى تقول ذلك ، أن من المثير جداً أن نتغازل مع الدوق وأن تتبارز معه بالكلمات ، وتصغى الى الأشياء التى تتمنى أن يحدثها بها . ولكنها رأت ان فعلت ذلك فانه سيكون تصرفا لن يرضى كيتى ، فقد وعدتها أن تحسن التصرف ، وعليها أن تمتنع عن مغازلة أى شخص ، وخصوصاً الدوق . وفكرت : كانت الليدى بيرشنجتون كريمة جداً معى ، واصطحبتنى معها ، وأعطتنى هذه الملابس الغالية . واذا فعلت أى شىء من ورائها فسيكون ذلك خداعاً وبعيداً عن الشرف ، ولن تقرنى عليه .

وقطع صوت الدوق عليها أفكارها قائلاً : ماالذى يزعجك ؟

www.elromancia.com

– وكيف عرفت ان هناك ... مايزعجنى ؟

ابتسم وقال : ان عينيك تكشفان مابك ، حتى فى ضوء النجوم ، وكذلك شفتيك .

خيل للينا أنه يقترب منها شيئاً فشيئاً وهو يتكلم . واذ حولت وجهها لكى تنظر اليه قال :

– اننى لأقدم نصف ثروتى فى هذه اللحظة لكى أقبلك .

وتلاقت عيناها بعينيه ، وتملكها الافتتان لحظة ، ثم رفعت يدها فى حركة احتجاج غريزية وقالت :

– ارجوك .. أرجوك ... انك تخيفنى .

سألها الدوق : كيف ذلك ؟

– اننى أشعر كان أمواجا تدفعنى فى البحر .. أو ربما كأن عاصفة قوية تعصف بى .

كان تفسيرها يكاد يكون غير مترابط . ورأت أن عينى الدوق ومضت بومضة غريبة من الانتصار . وحولت بصرها عنه مرة أخرى ، وقالت :

– أرجوك .. لاتفسد على ليلتى ، لاأستطيع أن أشرح ... ولكن وجودى هنا أمر رائع جداً .. ان أرى باريس .. والكنوز التى فى قصرك .... شىء سوف اتذكره طوال حياتى .

قال الدوق : وهل أفسد كل هذه الذكريات اذا أنا أحببتك ؟

– ... نعم .

– لماذا ؟

– لأنه قيل لى ... ان هذا شىء لايجب ان أستمع اليه .

قال الدوق : اننى لا أستطيع أن أفهم . من الذى قال لك انه لايجب أن تستمعى الى ؟

وعاد يقول اذ لم ترد عليه : هل انتزع منك زوجك وعدا بالعفة قبل أن يسمح لك بالمجىء الى باريس ؟ .. أو هل عاهدت شخصاً آخر على ذلك ؟

قالت لينا : لاأستطيع الرد على ... سؤالك .. إنك تخجلنى وتربكنى ... كل ما أريد هو أن أفكر فى روعة وجودى هنا مع شخص مثلك يستطيع أن يشبع فضولى .

– لا أستطيع أن أفهم سبب كل هذا الأحساس . ولكننى سوف أفعل ماتريدين ياالينا ، لأننى أريدك أن تكونى سعيدة .

ولأنه تراجع بكل هذه السرعة ، ومن غير أن تتوقع ، فقد نظرت اليه مبتسمة وبدأت تقول : أشكرك ...

ولكن عندما التقت عيناها بعينيه ماتت باقى الكلمات على شفتيها ، وراحت تنظر اليه . ومع أنه لم يتحرك فقد أحست كما لو

www.elromancia.com

أنه يقترب منها شيئاً فشيئاً ، وعيناه تتسعان أكثر فأكثر حتى امتلأت الدنيا كلها بهما . ولم تعد تستطيع التفكير فى شىء آخر .

وكانا جالسين هكذا ، ولايتحركان ، كما لو كانا تمثالين ، عندما ارتفعت ضحكة كيتى من بعيد ، وقطعت السحر .

* * *

استيقظت لينا باحساس غامر بأنها كانت تحلم أحلاما أسعدتها جداً بحيث أنها أحست بأنها لاتزال فى مخيلتها وفى قلبها ثم انتقلت أفكارها الى الدوق والى المشاعر الجديدة التى ايقظها فيها . وكانت واعية تماماً أنها نامت وهى تفكر فيه ، وأنه كان معها طوال الليل ، فى أحلامها .

عندما عادت كيتى حيث كانا جالسين ، أصرت على أن تعود هى ولينا محتجة بأنها يجب أن يخلدا الى النوم مبكرين لكى تكونا جميلتين لحفلة الغد الراقصة . وقالت :

يجب أن نكون متألقين تماماً ، فأنت تعرف ياعزيزى فابيان أن الحفلة تضم نساء جميلات ، نالت أكثرهن اعجابك فى وقت من الأوقات .

كانت الطريقة التى نطقت بها كلمة " اعجابك " تدل بكل وضوح على أنها تقصد بها معنى خاصاً . واكتفى الدوق بأن ابتسم وقال فى استخفاف :

– لم أرك ابداً ياكيتى إلا وأنت متألقة .

قالت كيتى : أشكرك . سيسرنى جداً أن أرى بين ذراعيك أجمل من فى حفلة الغد من السيدات .

انفجر الدوق ضاحكاً وقال : ليست بى أية رغبة فى أن تخترقنى آلاف الخناجر ، ولهذا فسأحرص على الاحتفاظ باختيارى لنفسى ، فان امرأة مهجورة يمكن أن تكون أكثر خطراً فى مثل هذه الظروف من أشد الرجال غيرة .

قالت كيتى : هذا صحيح ، ويسرنى أنك تعرف ذلك .

وألقت اليه نظرة ذات معنى . وتساءلت لينا ، رغم عدم احتمال ذلك ، اذا كانت كيتى قد شعرت بالغيرة لأن الدوق مكث معها عندما خرجت الى الحديقة مع الكونت . ثم حدثت نفسها بأن كيتى قد اصطحبتها معها خصوصاً لكى تلتقى بالدوق . ومع ذلك فلم يسعها الا أن تفكر فى تصرفها كان غريباً . بعض الشىء ، خاصة عندما قالت والعربة تنطلق بهما الى حيث تقيمان :

– ماذا قال لك الدوق وأنتما وحدكما ؟

ألقت السؤال فى حدة لم تسترح لها لينا ، فأجابت : أننا تناولنا ... أحاديث شتى .

– هل ضمك بين ذراعيه ؟

وكان صوت كيتى حادا للمرة الثانية . وأحست الفتاة بأنها يجب أن تذكر الحقيقة فقالت :

– أظن ، لأنه فرنسى ، حاول أن يغازلنى .

صاحت كيتى : أنه غازلك بالطبع . وليس ذلك لأنه فرنسى وانما لأنه هو نفسه ، فهو لايمكنه ان يترك أية امرأة جديدة وجميلة من غير أن يغازلها .

أسرعت لينا تقول : ولكننى .. لم أشأ الاستماع اليه .. على الأقل .. حاولت ألا أفعل .

خيم الصمت لحظة . وخيل الى لينا ، وهى ترى كيتى صامتة أنها مسرورة .

ثم توقفت العربة أمام البيت ، وصعدت لينا الدرج . ولكن قيل لكيتى أن مضيفتها الكونتيسة فى غرفة الاستقبال وتريد أن تراها . فمضت اليها .

بدا اليوم جميلاً . وجلست لينا فوق فراشها وقلبها تغمره فرحة ، فهى فى باريس ، وسوف ترى الدوق ، وستحضر فى نفس

الليلة حفلتها الراقصة الأولى .

واستبدلت ثيابها بمساعدة احدى خادمات القصر ، وثرثرت معها باللغة الفرنسية .. فسألتها من أية ناحية من فرنسا اقبلت ثم هبطت الدرج .

ولما كان الوقت لايزال مبكراً ، فقد تأكدت ان كيتى لن تحتاج اليها . ورأت أن تنتهز الفرصة لكى تبحث عن بعض الكتب التى تريد قراءتها ، وهى تتمنى ان تجد فى أحدها وصفا للعائلات الفرنسية التى قد تراها الليلة ، ولعائلة الدوق هو الآخر .

كان هناك عدد من الكتب الجميلة التجليد فى الغرفة المجاورة لغرفة الصالون التى استقبلن فيها فى اليوم السابق . ولكنها عندما دخلت انحصر اهتمامها فى البداية فى اللوحات الرائعة لمشاهير الرسامين . وكانت واقفة تتأمل احداها عندما سمعت شخصاً يدخل الغرفة فالتفتت ورأت مضيفتها ، الكونتيسة دى لاتور ، ولم تكن الفرصة قد سنحت لها حتى الآن للتحدث معها منذ قدومهن لأنها كانت فى الخارج دائماً .

ورأت الآن أنها امرأة فائقة الأناقة ، كما يمكن أن تكون المرأة الفرنسية . وهى وان لم تكن جميلة أبداً الا أنها كانت جذابة بطريقة يتعذر وصفها .

ورأت كذلك أنها بشعرها الأسمر ، وعينيها السوداوين الثاقبتين مخيفة بعض الشيء .

وكانت مجوهراتها كبيرة الحجم ، لم يسبق للينا أن رأت ابداً مثل اللآلىء التى تحلى بها عنقها وأذنيها .

نظرت الى تلك اللآلىء وحاولت ألا تحملق فيها وهى تقول : صباح الخير ياسيدتى . كنت أتأمل لوحاتك . طالما تمنيت أن أرى أعمال بوشيه ، وأنا واثقة ان هذه اللوحة واحدة من أجمل لوحاته .

تكلمت فى شيء من الصعوبة لأن الكونتيسة كانت تتفرس فيها بطريقة جعلتها لاتشعر بأى ارتياح ، ولم تلبث ان دهشت وهى تراها تغلق الباب خلفها قبل أن تتقدم فى الغرفة وتقول لها فى انجليزية سليمة :

– أريد أن أحدثك ياليدى ليتلتون .

أجابتها لينا : ولكن ... أنا تحت تصرفك .

وأحست وهى تقول ذلك أن الكونتيسة تحدق فيها فى كبرياء وازدراء ، وفى شيء من البغضاء أثار حيرتها فسألتها :

– هل صدر منى شيء أغضبك ؟

أجابت الكونتيسة بعد صمت قصير : علمت أنك تناولت العشاء أمس مع الكونت دى بريت والدوق سافيرن .

قالت لينا : أجل . اصطحبتنى الليدى بيرشنجتون معها .

قالت الكونتيسة فى ازدراء : اصطحبتك الليدى بيرشنجتون! .. لو أنك على شيء من الشرف ياليدى ليتلتون لقلت ان الدوق هو الذى دعاك للعشاء .

أجابت لينا : الواقع أنه عرض علينا ذلك .. عندما كنا فى قصره .

قالت الكونتيسة : أننى أعرف أساليبه وأريد أن أوضح لك شيئاً ..... أن الدوق ملكى أنا .

تأملتها لينا فى ذهول فى حين استطردت الأخرى تقول : سوف نتزوج بعد وقت قصير . تم الاتفاق على ذلك منذ وقت طويل ، ولن أسمح لك ولا لأية امرأة أخرى أن تتدخل ...

قالت لينا : لانية لى ... فى ... أن أفعل ذلك .

قالت الكونتيسة : أننى أعرف ماذا تنشدين ، فأنا لست حمقاء ... وأستطيع أن أخمن لماذا جاءت بك الليدى بير شنجتون الى باريس .

ان تلك المرأة كرهتنى دائماً لأننى كنت جزءا من فابيان دائماً .

ولزمت الكونتيسة الصمت لحظة ، ثم أتت بحركة جعلت

www.elromancia.com

الخواتم التى فى أصابعها تبرق تحت أشعة الشمس وقالت :

– ولكن أمرها أنتهى ، فلم يعد يريد منها شيئاً أو من أولئك النسوة الحمقاوات اللاتى حاولن الاستيلاء عليه ، فهن أيضاً انتهى أمرهن .

كانت تتكلم فى ازدراء وحقد بحيث راحت لينا تصغى وهى تشعر كأن قوة مغناطيسية قد شلت حركتها وأعجزتها عن النطق . واستطردت الكونتيسة تقول :

– وهو الآن ملكى ... ولن اسمح لك بالتدخل أو باغرائه لكى يمارس الحب معك فهو لايهتم الابى أنا .

احتجت لينا قائلة وهى تعرف أنه يجب أن توقف الكونتيسة عن تعنيفها بمثل تلك الطريقة المهينة : ولكننى لم أفعل شيئاً من ذلك .

انفجرت الكونتيسة تقول : لاتكذبى على . أنك مثل تلك السيدات الانجليزيات المتعطشات للحب ، واللاتى يمهلهن أزواجهن حبا فى الصيد .

تمتمت لينا : كلا .. كلا .. ليس هذا صحيحاً ... فيما يتعلق بى .

– لايخدعنك الأمر . سوف يتملكه الملك منك كما سبق أن مل

ديزى هولم وايفى بندولا وتلك التى تدعى أليس . وكذلك صديقتك ذات الشعر الأحمر التى تلاحقه كالنمرة .

وارتفع صوتها وطقطقت بأصابعها فى الهواء ثم قالت :

اننى تخلصت منهن جميعاً . انهن انتهين ، والى حيث ألقت . ولن أدعك؛ تدورين حوله الآن وتسلبينه منى ... أنه ملكى ... ملكى أنا ... هل تسمعينى ؟

وانتهت كلماتها فى صرخة ، وبدا للينا أنها فى حالة شديدة من الهياج والضراوة بحيث أنها تراجعت خطوة الى الوراء فى خوف طبيعى . وقالت فى صوت مضطرب :

– انك مخطئة ياسيدتى ، وأؤكد لك أنه ليس لى أى مطمع فى الدوق .

– لاحاجة بك الى الكذب فأننى لا أصدقك ، وأحذرك كما سأحذر فابيان ولن أقف مغلولة اليد بعد الآن . صدقينى .. اننى أعنى ما أقول .

ووقفت لحظة وهى ترتجف من فرط الغضب ، ثم تحولت ومضت نحو الباب . وما أن بلغته حتى استدارت وقالت :

– لو أننى فعلت ماأردت لطردتك الآن فوراً ، ولما تركتك تحضرين حفلة الليلة . ولكن ذلك سيثير فضيحة ، ولهذا يمكنك

www.elromancia.com

البقاء ، ولكن لاتنسى تحذيرى لك ، ودعى فابيان لى .

وخرجت وهى تصفق الباب خلفها ، ووضعت لينا يديها على قلبها كما لو تريد أن تخفف نبضاته . لم يخطر لها أبداً أن أية امرأة يمكن أن تخاطبها بمثل تلك الطريقة المهينة . كانت الكونتيسة مخيفة فى هياجها بحيث ، الآن بعد أن خرجت كان صدى صوتها وصرختها لايزال يدوى فى أرجاء الغرفة . ولم يسع لينا الا أن تفكر فى أن الدوق اذا تزوجها كما تريد فسوف تتسبب فى تعاسته .

ثم قالت لنفسها أن هذا ليس من شأنها . وأن الحكمة الآن ان تبتعد عن طريق الدوق لكى لاتتعرض لغضب الكونتيسة ، ولكنها لم تلبث أن أدركت أن كيتى وصديقتيها يخططن لغير ذلك .

وفجأة تذكرت أن الكونتيسة قالت لها : ان كلا من الثلاث كانت لها علاقة بالدوق قبل أن يسأمهن ، وتساءلت اذا كان ذلك حقاً فلماذا اصطحبنها الى باريس ، ولماذا أصررن على أن تلتقى به مع الاحتفاظ بالمبادىء التى تربت عليها .

وسطع الضوء فى ذهنها فجأة ، وفهمت . لقد كن جميعاً ، كما قالت الكونتيسة ، جزءاً من حياته فى الماضى ، واذا صح ذلك فإنه ملهن قبل أن يسأمن هن منه .

وادركت لينا أنها أصبحت تفهم الآن أشياء كثيرة غابت عنها قبل ذلك ، وأن السبب فى وجودها هنا هو أن كيتى وديزى وايفى يتمنين أن يقع الدوق فى هواها وأن تصده .

بدا لها الأمر كما لو كان لعبة صبيانية ، ولكن كيف استطعن التأكد من أن الدوق سيحاول مغازلتها ، كما فعل بالفعل فى الليلة الماضية ؟

ثم أن الشىء الذى أثار حيرتها أكثر هو اصرارهن على أن يكون لها زوج ، فقد كان الأمر يبدو بسيطاً جداً لو أنها تقدمت اليه كما هى .. فتاة شابة لايضايقها أبداً أن يحاول مغازلتها وتستطيع أن تستمع اليه دون أن تفشل فى مهمتها أو أن تخون .

ثم ومضت الحقيقة فى ذهنها عندئذ .

وكان الأمر بغيضاً ، ولم تستطع أن تصدقه . فان الدوق أغوى كيتى وديزى وايفى بحيث خانت كل منهن زوجها .

لم تستطع أن تصدق أن أية سيدة يمكن أن تقدم على مثل هذا العمل الشائن ، ومع ذلك ، واذا كانت قطع اللغز تتكامل الآن بصورة واضحة فانها أصبحت تفهم الآن ماكان يبدو فى جهلها ، غامضاً قبل ذلك . وسألت نفسها كيف استطعن ذلك .

وأحست ان ذلك أفظع وأبشع شىء يمكن أن يحدث ، وقالت

www.elromancia.com

فى صوت مرتفع : هذا فظيع .. لاأريد أن أفكر فى هذا الأمر .

وقامت من مقعدها ومضت الى خزانة الكتب لتأخذ كتابا تحاول أن تبعد الدوق عن ذهنها بقراءته . ولكنها تذكرت أنها كانت تبحث عن كتاب يضم تاريخ أسرته هو بالذات فقالت : لاأريد أن أعرف عنه المزيد .

ومر اليوم ببطء ، لأن كيتى كانت قد قررت أن تستريح قبل الحفلة الراقصة ، وألا تبذل أى جهد لكى تكون فى أجمل حالاتها فى الحفلة ، وتمددت فوق أريكة ، ورفعت قدميها الى أعلى ولم تتكلم الامع ديزى وايفى عندما أقبلتا لتناول الغداء ولم تظهر الكونتيسة بعد ذلك . وعندما ذكرت احداهما اسمها قالت كيتى :

– قالت لى ايفون أنها ستذهب الى قصر فابيان لكى تساعده فى اعداد الحفلة ، فسوف تقام حفلة عشاء لجميع المدعوين ، وهذا العمل وحدة يقتضى جهداً كبيراً .

قالت ديزى : سوف تستمتع إيفون بذلك . فزنه يروق لها أن تكون اليد اليمنى لفابيان ، أو شيئاً أكثر حميمة .

قالت ايفى فى توكيد : سوف تحصل عليه فى النهاية دون شك . ان هؤلاء النساء المتشبثات كالعلقة لايمكن التخلص منهن أبداً .

وكان يشوب صوتها مرارة أكدت للينا أن ظنها بأنه كانت هناك علاقة حب بينها وبين الدوق كان صحيحاً .

وأحست فجأة بأنها تريد أن تقول إنه لارغبة لها فى حضور الحفلة . ولكنها تصورت الدهشة التى سترتسم على وجوه " الفاتنات الثلاث " الجالسات الى المائدة ، والأسئلة التى ستترى عليها عن سبب رغبتها فى العودة الى انجلترا ، ورأت أن من المستحيل أن تذكر لهن الحقيقة ، ولهذا لزمت الصمت ولم تقل شيئاً .

ولكنها أحست بأنها لن تستطيع مواجهة الدوق مرة أخرى والانصات . وسألتها ديزى قائلة :

– ماذا قال لك الدوق عندما كنتما وحدكما ياليتا ؟

أحست لينا أن كلا منهما تخاطبها بنفس الطريقة كما لو أنها خادمة أو مربية أطفال شابة . وساءهما مسلكهما ، واضطرارها الى أن ترد عليهما كما لو أنها أقل من مستواهما . وقالت كيتى :

– ان لينا تظن أن الدوق كان يحاول مغازلتها .

صاحت إيفى : طبعاً . وهل كان بمقدوره أن يفعل غير ذلك؟

وسألت ديزى : ماذا قلت له .

وللمرة الثانية ، ولأنها لم ترد ، قالت كيتى : رفضت الاستماع اليه . ولاريب أن ذلك كان مفاجأة له .

وقالت ديزى فى اصرار : أريد أن أعرف ماذا قال ، كلمة - كلمة .

وساد الصمت الى أن قالت لينا أخيراً : اننى آسفة . ولكن أخشى أن أكون قد نسيت ، فقد حدث كل شىء بسرعة . ثم أن الليدى بيرشنجتون لم تغب .. مدة طويلة .

نظرت ديزى الى كيتى وقالت بلهجة الاتهام : كان هذا غباء منك ياكيتى . انك تعرفين تماماً ، كما أعرف أنا أن فابيان يروق له أن يتقدم تدريجياً ، وفى رفق ، كنغم الموسيقى وهو يرتفع فى لحن بطىء .

دافعت كيتى عن نفسها قائلة : أظن أننى غبت مدة طويلة بما يكفى ... وعلى كل حال فإن من الخطر الشديد أن يتملكه الضجر منها سريعاً .

كن يتكلمن عن لينا كما لو أنها شىء تافه لا أهمية له ، وأرادت أن تقول لهن ان الأمر كله معيب منذ البداية ، وأنها لاتريد الاستمرار فى القيام بهذا الدور الشائن ، ولكنها ، حتى وهى تفكر

فى ذلك ، رأت أنها لاتستطيع التضحية بفرحتها فى حضور الحفلة ، فهى الحفلة الوحيدة التى قد تسنح لها ... حفلة سوف تتذكرها طوال حياتها . وقالت لنفسها :

مافائدة أن يكون للمرء مبادىء اذا لم يستطع المحافظة عليها .

وأحست بارتياح كبير عندما أعربت ديزى وايفى عن رغبتهما فى العودة الى حيث تقيمان . وقالت ديزى وهى تنصرف:

- لم تذكرى لنا رأى ايفون فى لينا .

ضحكت لينا وقالت : انها لم تفتح قلبها لى ابداً . ولكن الطريقة التى نظرت بها الى كانت أبلغ من الكلام .

وضحكن جميعاً . ولكن خيل الى لينا أنها ضحكات متكلفة

وانصرفتا أخيراً . ولما كانت لينا لاتزال تعانى من الصدمة التى تلقتها من مهاجمة الكونتيسة لها ، ومن اكتشافها للحقيقة التى كانت خافية عنها ، فقد أحست بالارتياح عندما بقيت وحدها مع كيتى وقالت هذه الأخيرة :

- سوف أتمدد قليلاً . وانصحك أن تفعلى مثلى خاصة وأننى أراك الآن شاحبة بعض الشىء ، ويجب أن تكونى جميلة

www.elromancia.com

جداً الليلة ، لأننى أؤكد لك أن المنافسة ستكون شديدة جداً أثناء الحفلة .

وضحكت ، ثم اردفت : والواقع أنها لتكون معجزة لو أن الدوق طلب أن يراقصك ولو مرة واحدة . ولكن يجب أن نحتفظ بالأمل .

أرادت لينا أن تقول لها انه لارغبة لها فى أن ترقص مع الدوق ، ولكنها لم تلبث أن أدركت أن ذلك غير حقيقى ، فانها تتمنى أن ترقص معه لا لشىء الا لكى تضم ذكرى أخرى الى ألبوم ذكرياتها .

ثم وجدت نفسها تتساءل : ماذا سيقول لها ، وهل ستكون كل كلمة من كلماته تكرارا لما سبق أن قاله لديزى وايفى وكيتى ، وربما عشرات غيرهن . واستلقت فوق الفراش وهى تقول : انه حقير .

ودت أن تكرهه . ولكن عندما أطبقت عينيها لاحقتها صورته . كان مختلفاً جداً عن كل من رأتهم من الرجال . كان فاسقا وماجنا ، لايمكن لأية امرأة أن تثق به ، ولكنه رغم ذلك فريد وغريب الأطوار وجنتلمان .

وفكرت : لو أننى كاتبة لوضعت عنه كتابا . ولكن المشكلة

هى هل أجعل منه بطلاً أم وغداً .

ثم خطر لها أن كل رجل يمكن أن يجمع بين الصفتين معا ، ولكن فيما يتعلق بالدوق ، ولأنه رجل حيوى فإن الصفتين فيه مهيمنتان فى نفس الوقت .

وبدا كان نغمة صوته الدافىء لاتزال تهز كيانها . وسواء كان يشير وهو يتكلم عن الحب بخير أو بشر فان الكلمة نفسها كانت ترن فى قلبها بصورة غريبة وهو ينطق بها .

وعندما أقبلت الخادمة لاعداد حمامها ، جاءت ومعها علبة صغيرة من الكرتون ملفوفة بشريط فضى ومعها رسالة ، وقالت :

– هذه لك ياسيدتى . جاءت منذ فترة ، وظننت أنك نائمة فلم أشأ ازعاجك .

سألتها لينا : لى أنا ؟

وأخذت العلبة وجلست فوق الفراش لكى تقرأ الرسالة .

لم يكن هناك أى شك فى مصدرها . فنظرة واحدة الى الخط المستقيم والقوى قالت لها من الذى كتبها . وجلست تحملق فى المظروف كما لو كانت تخشى أن تفضه . ولكنها فضته أخيراً ، فى بطء وبسطت الورقة التى بداخله ، وجرت عيناها على السطرين اللذين عليها ، وهذا نصهما :

" فى انتظار هذه الليلة حيث نتبادل الآراء ، ويقرأ كل منا أفكار الآخر " .

وراحت تحملق فى الرسالة . لم تكن تتوقع أن يرسل اليها رسالة كهذه ، ومع ذلك ، ولأنها لم تكن تتوقعها فقد خيل لها أنها تهدىء مشاعرها ضده ، وتجعل تصرفه يبدو أقل امتهانا بالنسبة لها . وأسرعت وفتحت العلبة ، وكانت تتوقع أن تجد زهوراً ولكنها وجدت لفافة من الورق داخل لفافة ثانية وثالثة ، وأخيراً علبة صغيرة من المخمل زرقاء اللون ، فتحتها ، وما كانت أشد دهشتها وهى ترى بداخلها ماسة على شكل نجمة .

كانت ماسة جميلة جداً وغالية فى نفس الوقت ، تكلفت مبلغاً جسيماً بحيث راحت لينا تحملق فيها وهى لاتصدق عينيها .

كيف خطر له ، بل كيف تصور لمجرد لحظة أنها ستقبل هدية نفيسة كهذة من رجل لن تعرفه إلا منذ وقت قصير . أو لعله خطر له أنها ستقبلها لأن المفروض أنها امرأة متزوجة .

ثم وجدت نفسها تتساءل : هل قدم مثل هذه الهدية لكيتى وديزى وإيفى ، واذا كان الأمر كذلك فهل اعدن اليه هداياه ؟

واذا بلغت بأفكارها هذه النقطة رأت ألا تحدث كيتى عن هذه الماسة لأنها قد تأمرها بالاحتفاظ بها ، وهذا شىء لايمكن أن

تقبله بأى حال من الأحوال .

أسرعت ونهضت من الفراش . وبينما كانت الخادمة لاتزال تقوم باعداد الحمام وضعت العلبة المخملية فى آخر أحد أدراج طاولة الزينة ، ثم التقطت زهرة من احدى الباقات التى فوق المنضدة ووضعتها داخل العلبة الكرتون ، فقد كانت واثقة ان الخادمة سيدفعها الفضول الى أن ترى الهدية التى جاءتها ، وأنها ستطلع سميث بأمرها دون شك ، وتسرع هذه الأخيرة وتخبر كيتى . واذا قالت أن الدوق ارسل اليها زهرة فسوف يكون لذلك معنى خاص ، وتستطيع أن تقول عندئذ ، وبكل سهولة ان لونها لاينسجم مع لون فستانها وأنها لم تضعها على صدرها لهذا السبب .

والقت العلبة الكرتون فوق الفراش ، ثم راحت تفكر وهى ترتدى ثيابها كيف تقول للدوق ان هديته غير مقبولة ومهينة فى نفس الوقت .

كانت الكونتيسة تقيم حفلة عشاء كبيرة قبل حفلة الرقص . وما أن أقبل المدعوون حتى خيل الى لينا أن العشاء أجمل وأكثر أناقة مما كان فى أى وقت آخر . ولم يسعها الا أن تفكر كم منهن كانت لهن علاقة مع الدوق . وكم منهن جاءتهن هدايا مثل الهدية

المخبوءة فى درج طاولة الزينة ، وراحت تتساءل عن عقد الزمرد الذى تتحلى به ايفى .

وعندما انتهى العشاء وصعدت السيدات لاحضار معاطفهن للذهاب الى الحفلة ، قاومت لينا رغبتها فى رؤية الماسة المخبوءة مرة ثانية ، فانها قد تكون هدية تستوجب الشجب ، إلا أنها على الأقل هدية جميلة . ثم قالت لنفسها انها سوف توضح للدوق ... عندما تسنح الفرصة ، أنها دهشت جداً لهديته ، وأنها ستعيدها اليه غداً .

ومهما يكن تأثيره عليها فلابد لها أن تتذكر أن كل كلمة من كلماته سبق أن ذكرها لكل النساء اللاتى كن من الحماقة بما يكفى للاصغاء اليه . وقالت :

انه من هؤلاء الرجال يجب على الفتيات أن يأخذن حذرهن منهم .

ثم تذكرت أن الدوق لايظن أنها فتاة وانما امرأة متزوجة ، واذا كان قد أساء التصرف فهى الأخرى قد أقدمت على ذلك .

لقد خدعته ، وكذبت عليه ، وحضرت حفلته بفضل ادعاء كاذب .

وفكرت : أظن حقاً اننا من نوع واحد .

وأحست بأنها تكاد ترى عينيه تتألقان ، وثنايا شفتيه وهو يسخر منها ، وتمتمت : لست أنا التى ترميه بأول حجر .

ولكنها كانت تبتسم وهى تهبط الدرج لتنضم الى المدعوين الذين يسرعون الى الحفلة الراقصة .

* * * *

www.elromancia.com

الفصل السادس

رددت لينا البصر حولها فى ذهول . لم تستطع أن تتصور أن الديكور الذى صممه الدوق لقاعة الرقص والحديقة يمكن أن يكون بذلك الجمال وتلك الرومانسية .

عندما رأته فى اليوم السابق ، بدا لها مثيراً ورائعاً ، وصورة طبق الأصل لمدينة البندقية التى طالما تحت زيارتها . ولكن بدا لها الديكور الآن كما لو أنه حقيقة ، وسط أنوار المصابيح العديدة وأنغام الموسيقى التى تملأ المكان .

والآن وهى تشاهد حفلتها الراقصة الأولى كان المدعوون يرقصون فى رشاقة وأناقة . ولم يكن هناك أجمل من السيدات بمجوهراتهن التى تتلألأ فوق صدورهن ، وهن يتمايلن فى أحضان الرجال ذوى السترات الرسمية والقمصان البيضاء . وراحت تحدث نفسها وتقول : يجب أن أتذكر كل كبيرة وصغيرة .

ولكنها منذ أن دخلت قاعة الرقص رأت من الصعوبة أن تنظر الى أى أحد فيما عدا الدوق .

كانت عيناها تتابعه باستمرار وهو يراقص كل واحدة .

ووجدت نفسها تصغى الى رنة صوته .

رأته يرقص أول مرة مع أكبر النساء الموجودات سنا . ورغم أنها لم تعرف أسمها الا أنه كان من الواضح أنها تنتمى الى أقدم وأعرق أسر فرنسا .

كان لها سمة ارستقراطية ، وكبرياء ، أحست لينا أنهما نابعان من سنين وأجيال طويلة ، من النفوذ والاعتبار ، وجعلتاهما يرفعان رأسيهما عاليا ويتحركان وهما يرقصان كما لو أنهما يهبطان الى اولئك الذين أقل من مستواهما .

وكانت الموسيقى ، كما وعد الدوق ، تتصاعد من فئات من آلات الكمان والعود بصفة خاصة ، ولكن كان هناك ، فى الحديقة بعض الموسيقيين يتجولون وهم يعزفون على الجيتار وينشدون أغانى عاطفية ، وكان كل ذلك يمتزج بصورة خيالية بالأنوار التى تنبعث من زوارق الجندول وصياح النوتيين وهو يهيبون أقرانهم بالابتعاد عن طريقهم تجنبا للاصطدام بهم .

كان كل ذلك رائعاً بحيث ان لينا وقفت بالشرفة مشدوهة ، تنظر الى المناظر التى أمامها بعينين متسعتين . وأجفلة عندما سمعت صوتا بجوارها يقول :

– هل تستمعين ياليدى ليتلتون ؟

www.elromancia.com

التفتت ، ورأت امرأة مسنة ، تضع على رأسها منديلاً كبيراً مرصعاً بالجواهر . كانت قد قدمت اليها يوم مجيئها .

عرفت أنها الدوقة سافيرن ، جدة الدوق . فقالت لها : هذه حفلة رائعة ياسيدتى . ماكنت أتصور شيئاً بهذا الابداع .

قالت الدوقة : يسرنى أنها تروق لك . ولكن أنفق عليها أموالا كثيرة كان يمكن استخدامها فى عمل أفضل .

كان هذا نفس ماقالته لكيتى ، واستحقت عليه التعنيف والاتهام بأن لها آراء اشتراكية . واستطردت الدوقة تقول :

– كنت أتمنى أن يأتى أصدقاء حفيدى من انجلترا للاحتفال بزواجه هو .

سألتها لينا وهى تظن أنها كانت تنتظر منها هذا السؤال :

– وهل سيتزوج الدوق ؟

هزت الدوقة رأسها وقالت : كلا ، لسوء الحظ . ولكن لعلك تفهمينى ياليدى ليتلتون أن عائلته التى تحبه تريده أن يستقر ويتخذ زوجة .

أوحت اللهجة التى تكلمت بها الدوقة والومضة التى ظهرت فى عينيها بأن هناك سببا يدفعها الى مثل هذا القول . وتأكدت لينا الآن أن هناك من أخبرها بأن حفيدها قد وقع اختياره على

واحدة ، وأحست بأنها تحذرها بأنها دخيلة وان عائلته لاتحبذ هذا الاختيار .

وكان من الوضح أن الدوقة تنتظر منها أن تتكلم ، فقالت بعد فترة :

– أرى أن من المحتمل ... ان يفعل الدوق ... ماهو أصلح له ... ولعائلته ... طبقا لوضعه فى المجتمع .

قالت الدوقة : أن الأصلح له أن يتزوج بامرأة تكون أسرتها متساوية مع أسرته ، ففى فرنسا كما لعلك تعلمين ياليدى ليتلتون تتم الزيجات بترتيبات خاصة ، لأنه لايمكن لأحد أن يتصور أن حفيدى يمكنه أن يتزوج زواجاً غير متكافىء .

وأمسكت . ولما لم تنطق لينا عقبت قائلة : ان الدم النبيل يجب أن يتحد بدم نبيل آخر . وهذه فكرة متأصلة فى ضمير كل رجل ارستقراطى فرنسى منذ مولده . ان التقاليد لها شأن كبير بالنسبة لنا فى فرنسا .

ادركت لينا الآن ماتعنيه الدوقة بكلامها هذا . فانه يمكن ان يكون لها لقب ، ويمكن ان تتساوى مع الدوق ، ولكن عائلته تريده أن يتزوج وألا يقع فى " علاقة حب " مع امرأة لايعتبرونها من الأهمية بما يكفى ، من وجهة نظر اجتماعية بحتة .

www.elromancia.com

أرادت أن تسألها اذا كانت قد راودتها نفس الفكرة بخصوص ايفى وديزى وكيتى . وتساءلت ان كانت على مايكفى من الشرف لكى تقول " نعم " .

كانت تعرف مدى كبرياء الفرنسيين ، والذين ينتمون على وجه الخصوص الى النظام القديم ويرفضون الاعتراف بالألقاب التى ابتدعها نابليون بونابرت .

وابتسمت وهى ترى أن اللقب الذى اعارته كيتى إياها لكى تقوم بدورها مع الدوق لم يكن مناسبا بما فيه الكفاية وهمست :

" كان يجب أن يجعلنى دوقة " ولكنها كانت تعرف أن من السهل التحقق من ذلك اللقب واكتشاف زيفه .

أزعجها حديث الدوقة ، وأحست بارتياح كبير عندما أقبل زميلها فى الرقصة الأخيرة وبيده كأس من الشمبانيا وقال :

- اننى افتقدتك ياسيدتى ، وقد تأخرت عليك كثيراً لسوء الحظ لأننا لم نجد ليمونا ، وجئتك أخيراً بكأس من الشمبانيا .

قالت : شكراً لك . هذه مكرمة كبيرة منك .

وأخذت رشفة صغيرة من الكأس . وفيما هى تفعل رأت أن الدوقة قد ابتعدت . وسألها الشاب الفرنسى :

- هل ترقصين معى ثانية ؟ لاحاجة بى الى أن أقول لك

أننى لاأريد أن أرقص الامعك أنت ، وأنك اذا رفضت فلن تكون لسهرتى أية قيمة .

كان يتكلم بالفرنسية ، مما جعل كلماته تبدو أكثر الحاحاً وأكثر تأججاً مما لو نطقها بالانجليزية ، وضحكت لينا وأجابته :

- انك تطرينى ياسيدتى ، ولكننى مرتبطة بالرقصات الثلاث التالية .

قال الشاب : امنحينى الرقصة الرابعة اذن .

وأخذ البرنامج من يدها ، ودون اسمه .

ولكن تعذر على لينا الوفاء بوعودها مع تقدم السهرة .

كانت الحفلة قد بأت بطريقة رسمية ، ولأنها أقيمت فى قصر الدوق فقد حرص كل مدعو على التصرف طبقاً للعرف والتقاليد .

ولكن السمة الرومانسية للديكور والشمبانيا التى راح الخدم يدورون بها الهبتا الجو وبدا كأن الموسيقى تلتهب معه . وخيل الى لينا أن كل شىء يتألق ويضىء حتى أصبحت هى جزءاً منه وتألقت هى الأخرى .

واذ راحت ترد على مجاملات راقصيها أحست أنها لاتستمع الى حوار فى مسرحية وانما هى جزء منها . كل من

www.elromancia.com

رقص معها طلب منها أن ترافقه فى نزهة فى زورق بالبحيرة . ولكنها اذا رأت الزوارق تنساب بعيداً فى الظلال ، تحت جسر التنهدات ، أحست أن ذلك عمل غير حكيم .

كانت متأكدة تماماً من أنها اذا ذهبت مع أى رجل مهما يكن بمفردها ، فى الزوارق فإنه سوف يحاول أن يضمها اليه أو أن يمسك يدها على الأقل . ولم تكن تريد أن يحدث هذا ، ولم ترد أن يضمها أى أحد فيما عدا شخص واحد بالذات اذا توخت الصدق .

أزعجتها الفكرة . ومع ذلك فقد أحست بأن السهرة ستكون مملة لو لم يقترب الدوق منها ، وأنها كانت تنتظر ذلك وتتوق وتحن اليه بطريقة لاتستطيع تفسيرها .

همست عندما تقدم الوقت ولم يقترب منها منذ بداية السهرة: اننى أريد أن أرقص معه ، رأته يرقص مع كيتى ثم مع ديزى وافترضت أن إيفى ستكون التالية .

وأدركت فجأة أن المنظر المتألق فقد جماله وبهاءه ، وضاق صدرها بخيبة الأمل وكأن حجراً أثقل عليه فجأة .

ثم ، واذ بدأت الموسيقى من جديد ، وابتعدت عن راقصها الذى كانت تتكلم معه فى الشرفة لكى تعود الى صالة الرقص رأت

الدوق بجوارها .

لم يتكلم . ولكنه أحاط جسمها بذراعه وجذبها الى قاعة الرقص ، وألفت نفسها ترقص معه رقصة حالمة من رقصات الناس ، وأحست مرة أخرى بأنها تعيش فى حلم .

كان كل من راقصها قد قال لها إنها تجيد الرقص تماماً وأنها خفيفة كالريشة بين ذراعيه . ولكنها أحست مع الدوق ، بأنها امتزجت به ، وأنهما أصبحا جزءاً واحداً لايتجزأ . وشعرت فى نفس الوقت بيده على جسمها وذراعه تطوقها ويده الأخرى ممسكة بيدها .

وعندما رفعت عينيها اليه رأت أن امارات الجد مرتسمة على وجهه فقالت :

– كنت اريد أن أقول لك ان هذه السهرة رائعة .

– هل تجدينها كذلك حقاً ؟

وكان صوته خفيضاً وعميقاً فى نفس الوقت وأجابت :

نعم... نعم .. رائعة جداً ... جداً .

– لاريب اننى عندما اخترت هذه الخلفية لحفلتى الراقصة كنت أعرف أنك ستحضرينها ، ولاحاجة بى الى أن أقول أنه ليس فى هذه القاعة من هى أجمل منك .

www.elromancia.com

كان يتكلم فى هدوء تام وفى نبرة خيل لها أنها تنبض بالصدق وجعلت قلبها يركض بين ضلوعها .

رفعت عينيها اليه من جديد ولم تر على شفتيه الابتسامة الساخرة التى توقعتها ولا البريق الذى سبق أن رأته فى عينيه .

وبدلا من ذلك ألقى اليها نظرة خاطفة لمجرد لحظة ثم اجتذبها اليه أكثر ، وراحا يدوران فى القاعة فى صمت .

ولم تكن موسيقى الرقصة قد انتهت بعد عندما توقف أمام نافذة واجتذبها الى الشرفة .

وهبط بضع درجات افضت بهما الى الحديقة . وعندما بلغا البحيرة كان هناك زورق ينتظرهما ساعدها على الانتقال اليه .

وجلسا جنبا الى جنب ، فوق وسائد من الحرير الأحمر ، والنوتى يجرف خلفها ، والزورق ينساب ببطء تحت الأضواء الذهبية التى تتألق على سطح الماء . ونظرت لينا الى الدوق .

رأته يحدق أمامه مباشرة . لم يتكلم . وعرفت أن هناك سببا لصمته فلزمت الصمت هى الأخرى ثم أنها لم تشأ أن يسمع النوتى الجالس خلفهما حديثهما . ومع ذلك فقد رأت زوارق أخرى كلا منها يضم زوجين ... راقصاً وراقصة ، والراقص يحتضن زميلته ويتهامسان ، وشفاهما تكاد تتلامس دون أن يهتما بأذان أو

عيون الفضوليين ، ولكن لم تكن هى نفسها لتستطيع أن تتصرف بمثل ذلك الاستخفاف ، وكلما حملها الزورق خفت أصوات الموسيقى . ولم تعد تسمع غير الموسيقيين وهم ينشدون أغانيهم العاطفية التى تأجج وجدا وجوى .

أحست بقلبها تزداد سرعة نبضاته ، وبحلقها يجف وغمرها وجود الدوق الجالس بجوارها بفرحة كبيرة ، وتأكدت من وجوده كما لو أنه أخذها بين ذراعيه .

ومر الزورق تحت جسر التنهدات ، واصبحت المصابيح قليلة ، وتقوست البحيرة الاصطناعية لكى تتعمق فى جزء وعر من الحديقة يزخر بالأغصان والأدغال المتشابكة الأغصان ، وأفضت بهما الى لسان ممتد من الأرض وأوقف النوتى الزورق أمامه دون أن يصدر اليه الأمر بذلك . ونظرت لينا الى الدوق متسائلة . وفيما هى تصعد الى الأرض ، من الدوق اليها ليساعدها ، وأحست برعشة تسرى فى كيانها بمجرد ان لمست أصابعه أصابعها .

ومن غير أن تفكر فى شىء ، أو فيما يجب أن تفعل ، كانت قد خلعت قفازها الطويل ، والزورق ينساب بهما فوق سطح الماء ، وغدت ذراعاها الآن عاريتين .

وصعدا بضع درجات . وكان أمامها ستار من أوراق

الشجر ، ازاحه الدوق جانبا .

ووقفت لحظة مذهولة ومترددة وهى ترى الزورق الذى جاء بهما يبتعد نحو الأضواء البعيدة ، وقال الدوق فى هدوء لكى يطمئنها :

– سوف يعود فى الوقت المناسب .

كانت تلك أول كلمات ينطق بها منذ أن غادر قاعة الرقص . وابتسمت لينا له ، ومرت من خلال ستارة الأوراق . وكان لايزال ممسكاً بها ريثما تمر .

ثم لهثت ووقفت مبهورة الأنفاس ، فقد رأت أمامها تعريشة مقامة بجوانب من الزهور ، من الجمال والروعة بحيث لم تستطع الا أن تحدق فيها مشدوهة . فقد كانت جدرانها من الزهور الخالصة ، وكان منظرها فى غاية الروعة .

وكانت الأنوار تنبعث من الخلف بحيث بدت الزهور كما لو كانت شفافة . وكانت خليطا من الورود والقرنفل والسوسن والاوركيد ، وكل أنواع الزهور تسر العين . وكان شذاها يملأ المكان ويمتزج بالموسيقى التى كانت تأتى الآن من بعيد ، بحيث كان من الصعب أن يعرفا ان كانا يسمعانها حقاً أو اذا كانت انغاما انطبعت فى ذهنيهما .

وكانت هناك أريكة كبيرة تكسوه بوسائد وثيرة من الحرير ، وكثت كأرض التعريشة تتألق بقبلات الزهور وجعلت المكان يبدو أشبه بجنة ساحرة .

قالت لينا وهى تلبث : هذا رائع ... لم أتصور أبداً أن هناك مكانا بمثل هذا الجمال ومثل هذه الروعة .

قال الدوق : إننى سعيد باحساسك هذا ، لأننى صممته لكى أتى بك هنا واتحدث معك .

رمته لينا بنظرة سريعة قبل أن تقول : وأنا أيضاً أريد أن أتحدث معك ، بخصوص الهدية التى أرسلتها لى .

قال الدوق : تمنيت أن تتزينى بها .

– لا أستطيع ذلك . لاأريد ... أن أجرح شعورك ... ولكننى لا أستطيع أن أقبلها .

– ولم لا ؟

– لأنه ليس من الصواب أن أقبل شيئا نفيساً كهذا من رجل ... لاحق له فى أن يعطينى اياه .

كانت تتكلم فى صوت متقطع ، وتحاول يائسة أن تجد الكلمات المناسبة لكى لاتبدو جاحدة وناكرة للجميل .

واذا لزم الصمت ازداد اضطرابها وارتبكت وراحت تلوى

www.elromancia.com

يديها وتوسلت قائلة :

– أرجوك ، حاول أن تفهم . اننى نشأت وأنا أعتقد أنه لايصح أن أقبل أية هدايا من أحد ، مالم تكن شيكولاته أو أشياء بسيطة ... كالزهور ....

قال الدوق : اننى أهديتك هذه الهدية بسبب محدد سأذكره لك فيما بعد . ولكننى أريد أن أتأملك أولا ياالينا . وهذا ماكنت أخشاه حتى الآن .

– تخشاه ؟

– هل تعتقدين اننى لوكنت فعلت ذلك كنت أستطيع أن أقوم بواجبى كمضيف ؟ ... وأن أرقص مع النساء الأخريات وأحدثهن وابتسم لهن .

وازداد صوته خطورة وهو يقول ذلك .

– كنت أحصى الدقائق حتى استطيع أن أرقص معك ، وأن أصطحبك الى هذا المكان ، وأقول لك اننى أحبك .

رفعت لينا يديها الى صدرها ولهثت قائلة : كلا . أرجوك .

سألها الدوق .. لماذا ؟ ... أنك تعرفين ، كما أعرف أنا أن مايشعر به كل منا نحو الآخر بعيد عن كل تعبير .

ومد ذراعية نحوها ، فأطلقت صرخة صغيرة ، وارتدت الى

الخلف فجأة . وكانت التعريشة ضيقة جداً بحيث ألفت ظهرها يلمس جدار الزهور .

– أظن ... أظن أننى سأعود ... لايجب أن .. أبقى هنا .. وحدى معك .

قال الدوق : ولكنك تودين البقاء ، أليس كذلك ؟ قولى لى الحقيقة ياالينا ، قولى أنك تودين البقاء وتريدين سماع ما أود أن أقول لك .

كان على حق فى ذلك . وكانت تعرف أنه لايبعد عن الحقيقة ، وأن من المستحيل أن تستمر فى الكذب حتى ولو القيام بالدور الذى أنيط بها .

أحست بنظرته اليها ، ولكنها تجنبت النظر اليه لا لشىء الا لكى تحتفظ بفرصة أخرى للافلات منه .

– أرجوك .. دعنى أمضى .

كانت تتوسل اليه كما لو أنه كان يمسكها فعلاً ، وأجابها :

– لا أستطيع ذلك ... فى الوقت الحاضر .

– ولكن ... لماذا ؟

– لأننى أريد أن تسمعى ما لدى .. لعل من الأوفق أن أتكلم بالترتيب المناسب .

www.elromancia.com

كان يتكلم ، رغم هدوئه ، بصوت غريب ، أثارت حيرة لينا ، فقالت :

- اننى ..... اننى لا أفهم .

- وكيف تستطيعين ؟ ... ولكننى اعتقد أنك ، فى سويدائك ، سوف تفهمين ، وأنا على يقين من ذلك ، مادمنا متشابهين ومتقاربين فى أفكارنا .

لزمت لينا الصمت ، واستطرد الدوق : اننى ارسلت اليك هذه الهدية لأنها رمز لكل ماتمثلينه لى .

تمتمت لينا : أتعنى نجمة ؟

- نعم نجمة ... والنجوم بعيدة عن المنال كما تعلمين .

وتحطم صوته تقريباً وهو ينطق بالكلمات الأخيرة . ولكنه لم يلبث أن تمالك نفسه ، واستأنف حديثه قائلاً :

- هذا هو ماتمثلينه لى ياليتنا . نجمة متألقة فى السماء ... باهرة الجمال ... ساحرة ... ولكننى لا أستطيع أن ألمسها ، ولن تكون ملكى أبداً .

ازداد اضطراب لينا ، وراحت ترتعش ، ولكنها لم تقاطعه .

- نعم ... لم أكن أفكر الا فيك وأنا أقيم هذه التعريشة من الزهور ... أردت أن آتى بك هنا الليلة ، وأن أضمك بين ذراعى وأقنعك بأن كلا منا للآخر ، وأنه لاوجود فى الدنيا لشىء آخر غير حبنا .

سرت بكيانها زعشة خفيفة . وعندئذ ضمت يديها بحيث ألمت نفسها ، فى حين استطرد الدوق :

- كنت متأكدا من أننى سأستطيع اقناعك ، كما اقنعت جميع الأخريات ... عندما أدركت فجأة أنك مختلفة .

- مختلفة ؟

- نعم مختلفة ... عن كل اللاتى احببتهن ومررن بفترة فى حياتى .

وأتى بحركة تدل على ضجره ، وهو يقول : لاجدال فى أننى استحققت سمعتى . ولكن دعينى أقول لك دفاعا عن نفسى ، اننى لم أمتلك امرأة أبداً ضد رغبتها .

فكرت لينا لحظة فى أن مامن امرأة كان يمكن أن تقاوم أغراءه .

وعاد يقول :

- وعصر اليوم بالذات ، مضيت لكى اشترى لك هدية تعبيراً عن شكرى لك ، لأننى كنت على يقين من أنك ستمنحيننى حبك ، ورأيت عندئذ تلك النجمة محفورة فى ماسة .

وأمسك لحظة قبل أن يستطرد فى صوت عميق : ووضح لى الأمر عندئذ ، وأدركت أنك كاملة ... واننى لاأستطيع أن أدنس

www.elromancia.com

امرأة بمثل هذا الكمال .

كتمت لينا أنفاسها ، فى حين أستأنف الدوق حديثه فقال : لن أدنسك أو أتسبب فى ايلامك كما تسببت فى ايلام نساء أخريات ، لأننى ، وان كنت لم أقصد ايلامهن الاانني لم أستطع أن أتجنب ذلك . ولا أريد أن يقع لك هذا . لأننى أعتقد بأننى جدير بأن أنتحر اذا تسببت فى بكائك .

قالت لينا : أتقول هذا لى أنا ؟

أجاب الدوق : يجب أن تفهمى أيتها الغالية أن ما أشعر به نحوك انما هو حب حقيقى . حب طاغ بحيث أعتقد أنه هبة من الله .

وتقدم الى الأمام . وأخذ يد لينا فى يده برفق وقال : ولهذا ، سيودع كل منا الآخر الليلة يانجمتى الغالية الصغيرة ، ولن أراك بعد اليوم .

صاحت لينا : أوه ، كلا لاأستطيع .. ، لن أطيق ذلك .

قال الدوق : هذا شىء لابد منه ... لأن لك زوجاً ، ولأننى سأعيدك الى لندن سالمة من غير أن أدنسك بحب رجل لن يستطيع أبداً أن يكون له أهمية جادة فى حياتك . ولن يسعه إلا أثارة القلق فى حياتك وربما حطمك .

كان الدوق يتكلم فى حزن وتأثر بحيث أحست لينا بالدموع تتصاعد الى عينيها . وفكرت لمجرد لحظة أن فى مقدورها أن تطلعه على الحقيقة . ولكنها لم تلبث أن أدركت أن ذلك لن يغير الموقف ، فهى فى المقام الأول لاحق لها فى أن تخون ثقة كيتى التى انفقت مبلغاً كبيراً من المال لكى تأتى بها الى باريس . واهم من ذلك هو أنها بكونها غير متزوجة لن تؤثر أبداً فى قرار الدوق ، فانه اذا كان قلبه لم يطاوعه على أن يدنس امرأة متزوجة فانه سيحرص على أن ألا يدنس شرف فتاة لم تتزوج بعد .

وتملكتها الحيرة ، ولم تعرف ماذا تقول . ورغم فظاعة الموقف القت سؤالاً تافهاً :

– ولكن ماذا سنفعل لكى لانلتقى قبل رحيلى ؟

أجاب الدوق : لن ترينني لأننى سأغادر باريس ... سينفطر قلبى ياحبيبتى . ولكن لابد من ذلك والا تملكنى الضعف وجانبت طريق الصواب .

ونظر اليها كما لو أنه يريد أن يطبع صورتها فى مخيلته ثم قال :

– لن أكف عن التفكير فيك ، وستكونين فى أحلامى ، وفى قلبى الى الابد .

www.elromancia.com

سألته لينا : كيف يمكن أن تؤكد ذلك ؟

أجاب : لأنها الحقيقة . ليست هناك كلمات جديرة بأن تصف الاحساس الذى يجمعنا . ثم انه لاجدوى من الكلمات ، فأنت ملكى ، وأنا ملكك ، وروحانا متحدثان بحيث لايمكن فصلهما . أصبحنا كأن جسدينا قد التحما معا .

وزفر زفرة عميقة وقال : والله وحده يعرف مدى الاغراء الذى أعانيه .

وشدد الضغط على يدها واستطرد : أننى أريدك يالينا ... أريدك بكل قواى ، وأعرف الآن ، وقد أصبحت جزءاً منى ياغالية أنه لن يمكنك أن تقاومينى اذا عزمت على امتلاكك .

أحست لينا برعشة تسرى فى كيانها ازاء صوته الذى يتهدج من فرط الجوى والبريق الذى يتألق فى عينيه . وأحس هو بأصابعها ترتعش بين أصابعه ، وتكلم عندئذ فى وضوح أكثر فقال :

- أعرف أنك خلقت لى . وأجهل كل شىء عن زواجك ، ولكننى أعرف أنك ، رغم كل شىء بقيت طاهرة وبريئة ، وأنه ليست لديك أية فكرة عن الحب الحقيقى بين رجل وامرأة التحم كل منهما بالآخر برغبة جامحة .

وتردد لحظة ثم قال : هذا هو شعورى نحوك . سنحترق معا فى نشوة تنقلنا بعيداً عن الدنيا ، وبعيداً عن الناس ... بعيداً جداً ، فى دنيا أخرى خلقت لنا وحدنا .

افلتت لينا همسة مبهمة فقال : ان كلماتى تجعلك ترتجفين ياغرامى . وملامستى تثير فيك نشوة لاتوصف .

أحست لينا وهو يتكلم بأن النشوة تتغلغل فى كيانها فعلاً . ولم تلبث أن انتشرت فى كل كيانها ، وبأن الرغبة تدفعها نحوه . وشعرت بشوق جامح فى أن تكون بين ذراعيه ، وان تلتصق به .

وقال الدوق : إننى أحبك ... أحبك حبا يعمينى عن كل مايحيط بى . حبا يجعلنى لا أرى أحداً غيرك ولا أسمع صوتاً غير صوتك . يخيل الى أن الأرض والسماء مملوءتان بك ... وبك أنت وحدك .

اعترفت لينا وهى تلهث : أننى ... أننى أحبك .

لم يكن قولها هذا إلا همسة ، ولكن الدوق سمعها ، ورفعت وجهها عندئذ اليه والتقت عيناه بعينيها .

لم تستطع ، كما حدث فى الليلة السابقة ، أن تحول عينيها عن عينيه ، أحست بأنها قريبة منه وأنه يتجاوب معها . ولم يعودا اثنين وانما أصبحا شخصاً واحداً . وبقيا هكذا لحظة طويلة

www.elromancia.com

لايتحدثان ، وقد ربطتهما نظرة كانت الدنيا كلها فى عينيه .

وعندئذ ، وفى بطء ... بطء شديد طوقها بذراعيه .

أخذها الى بلد لايعرفها أحد غيرهما . ولم تعد تخاف ، ولم تعد وحدها . كانت ملكه . استحوذ الحب على ذهنها وروحها وبدنها . وقالت :

- اننى أحبك .

ومع أن الكلمتين كانتا مجرد همس فقد خيل اليها أنها تصرخ بهما من فوق قمة جبل .. و قال الدوق فى صوت أجش :

- هذا وداع ياحبيبتى الغالية .

ووضع شفتيه على شفتيها .

زودتها قبلته بنشوة طاغية لم تعتقد أبداً أنها يمكن أن تشعر بها . وازداد عناقه لها بقوة ، وازدادت قبلته أصراراً . وأدركت لينا أن الدوق كان على حق ، فانهما خلقا ، كل منهما للآخر . وأن شعوره نحوها يختلف تماماً عن شعوره نحو أية امرأة أخرى .

كان ذلك حب شخصين يلتقيان بعيداً عن الدنيا المرئية ... حبا شاملاً بلا تصنع ولا اكراه . سوف تحررهما شعلاته من كلام هو زائف ودنىء .

لم تعش حتى اليوم الا من أجل هذه القبلة ، ومن أجل هذا العناق ... لم تكن تعيش الا بنصفها فقط . ولكن شفتى فابيان وذراعيه وهبتها الحياة ... كاملة .

لم تعد بمفردها . ولم تعد هى نفسها بالذات . أصبحت جزءاً منه لايتجزأ . وتتدفق خلالهما جوهر الحياة . ولم يعد فى الدنيا غيرهما .

وفى بطء ... بطء شديد ، رفع الدوق رأسه . لم يقل شيئاً ، ولكن لينا أدركت أنها النهاية .

كان قلبها يخفق بشدة . وكيانها كله يشع بنشوة وسعادة جعلتاها تشعر بأنها تحلق فى مكان غامض يسطع بنور سماوى .

لم يقل شيئاً . بيد أنها كانت تعرف بأنه يطلقها من بين ذراعيه وأنه سيكون قد انصرف قبل أن تدرك ذلك تماماً ، ويتركها وحدها بقية حياتها .

وهمت بأن تصرخ وان تحتجزه ، ولكنه كان قد ابتعد عنها ، ولم تعد ذراعاه تطوقانها ، وتركها وحدها .

سوف يعود الى قاعة الرقص ، فى نفس الزورق الذى أقلهما ، وسيجلس الى جوارها ، صامتا ، وينفصلان الى الأبد .

أكتشفت الحب ، ولكنها سرعان مافقدته . ومدت يدها وهى ترتعش .

www.elromancia.com

وفى هذه اللحظة انفرجت ستارة الأوراق . ودخل التعريشة شخص .

مرت بلينا دقيقة قبل أن تعود الى عالم الواقع وتركز بصرها ... وعندئذ رأت أن الشخص الذى دخل امرأة ... وأنها الكونتيسة .

قالت هذه الأخيرة بصوت بدا جافا وبغيضا ، وهى مستندة الى جدار الزهور ، وصدى الموسيقى يتناهى من بعيد .

– كنت على يقين من ذلك .

سألها الدوق : ماذا تريدين يايفون ؟

أجابته : وماذا تظن أننى أريد ... أريدك أنت طبعاً .. اننى انتظرك منذ سنين .

بدأ الدوق يقول : ليست هذه لحظة شجار يايفون و...

قاطعته الكونتيسة : شجار ... أتدعوه شجاراً ... كفى يافابيان ... كفاك مغازلات ... كفاك نساء ... اننى أتيت وفى نيتى أن أقتل غازيتك الجديدة ، ولكننى غيرت رأيى ... وسأقتلك أنت .

وأخرجت يدها من طيات فستانها . ورأت لينا أنها تمسك مسدساً صغيراً .

وقال الدوق فى هدوء :

– تعقلى يايفون .. كفى عن هذا الهوس .

صوبت الكونتيسة مسدسها نحوه وهى تقول : ان ما تصفه بالهوس يافابيان انما هو حب ... حبى لك ... ولكن عندما تموت لن اتعذب بعد .

دلت نظرتها وثنايا شفتيها عندئذ على أن بها مسا من الجنون . وأدركت لينا ذلك تماماً . كان هياجها فى الصباح قد بدا لها غريباً . ولكن لم يعد لديها أى شك الآن ... ان الكونتيسة مجنونة ، وأنها عقدت العزم على أن تقتل .... وأنها سوف تفعل .

وبحركة غريزية ، ومن غير أن يتدخل عقلها لكى يوقفها ألقت بنفسها أمام الدوق فى نفس اللحظة التى صاحت فيها الكونتيسة بصوت ضار :

– مت اذن يافابيان ... مت وأرجو أن تستمتع بقبلة الموت.

وضغطت على الزناد ... وقطع صمت الليل دوى أصم . وتهاوت لينا .

أحست بأن ناراً تحرقها ، ثم عصف بها ألم شديد ، وصرخت قبل أن تغرق فى هوة من الظلام .

* * *

www.elromancia.com

الفصل السابع

عادت لينا الى وعيها فى بطء ، وهى تشعر بأنها تخرج من نفق مظلم ليس له قرار . عجزت عن التفكير فترة طويلة ، ولم تع شيئاً مما حولها فيما عدا أنها كانت تلهث . وأدهشها ذلك . وبدا لها أن شيئاً فظيعاً قد حدث .

ثم أحست بأنها تهوى من جديد فى بحر من الظلام وهى لاتزال عاجزة عن التفكير فى أى شىء .

وعندما عادت الى رشدها من جديد ، أدركت أن هناك عصافير تشدو ، وأشخاصاً تتحرك لأنها سمعت حفيف ثياب . وكان الأمر مختلفاً عما سمعت قبل ذلك .

وفتحت عينيها فى بطء ، كما لو أنها تخشى أن يؤلمها ذلك .

كانت فى غرفة لاتعرفها ، معتمة . ولم يكن ذلك لأن الوقت كان ليلاً كما اعتقدت فى بادىء الأمر . ولكن لأن الستائر كانت مسدلة فوق النوافذ لكى تحجب أشعة الشمس .

ثم انحنى شخص فوقها ورفع رأسه فى رفق ، وصب

شراباً فى فمها . وكانت تعرف فى نفس الوقت أنها ظمأى وأن حلقها جاف .

وقال صوت رقيق : نامى ياصغيرتى .

وبعد وقت طويل ، قد يكون أياماً ، وقد يكون أسابيع ، أحست بذهنها يصفو ، وعرفت أنها تستطيع أن تفكر وأن تحس ، وأدركت عندئذ أن هناك شيئاً يعوق ذراعها اليسرى . وعندما حاولت أن تحركها تسبب ذلك فى شىء من الألم .

وعلى الفور ، اقترب منها شخص ، وسمعت الصوت الذى سمعته من قبل وهى فى منتصف غيبوبتها يقول بالفرنسية :

– هل صحوت ياسيدتى .

رفعت عينيها . ورأت راهبة ذات وجه هادىء يحيط به خمار مثقوب ، قالت لها ، كما لو رد على السؤال الصامت الذى يتلاعب على شفتيها ولم تستطع النطق به .

– كل شىء على مايرام . وأنت الآن أحسن . ولاداعى للخوف .

حدثت لينا نفسها قائلة : الخوف ؟

وبدت لها الكلمة غامضة ، ولكن سرعان ماتذكرت .

عاد كل شىء الى ذهنها ، كما لو كانت تشاهد منظراً فى

www.elromancia.com

مسرحية : الكونتيسة تشهر مسدساً وتصرخ والجنون فى عينيها :

مت يافابيان ... مت ، وأرجو أن تستمتع بقبلة الموت .

ثم دوى الطلقة النارية والألم المبرح الذى أعقبها .

وهمست :

– انها ... انها أطلقت النار على .

قالت الراهبة فى هدوء : نعم . وقد أصابتك الرصاصة . ولكن لم يقع ضرر كبير ، والحمد لله .

حولت لينا عينيها فى بطء ، وحاولت أن تنظر الى كتفها اليسرى .

رأت ذراعها فوق البطانية ، ملفوفة فى ضمادات كثيرة فصاحت مذعورة : هل فقدت ذراعى ؟

ابتسمت الراهبة وقالت : كلا .. كلا بالطبع .. أنه مجرد جرح . ولكن العظم سليم . وكان لابد من استخراج الرصاصة . ومعنى هذا أنه لابد من وقت لكى يلتئم ، ولكنك شابة وقوية ، ونحن نصلى من أجلك .

قالت لينا : أشكرك .

ابتعدت الراهبة عن الفراش لكى تأتى بقدح به شراب بطعم الفاكهة والعسل . ورفعت رأس لينا وقالت :

– هل لك أن ترفعى نفسك قليلاً ، وتحاولى الجلوس ياسيدتى .

أجبت لينا : كما تريدين .

ورفقتها الراهبة فى حرص كبير ، ثم أزاحت الستائر قليلاً لكى يدخل الغرفة بعض النور . ورددت لينا البصر حولها .

رأت أنها فى غرفة فسيحة ، جميلة الرياش ، جدرانها مكسوة بقماش مقصب ، ومعلق بها بعض اللوحات الجميلة .

وعندما رفعت عينيها ، رأت بالسقف صوراً مرسومة لآلهة الجمال وإله الحب ... كيوبيد وأفروديت .

كانت راقدة فوق فراش وثير تعلوه قبة على شكل تاج ، وتتدلى منهما ستائر من الحرير والدانتيل . وكانت تعرف رد السؤال . ولكنها سألت مع ذلك : أين أنا ؟

أجابت الراهبة : أنت فى قصر الدوق سافيرن ، حيث أقيمت الحفلة الراقصة .

أمسكت لينا أنفاسها ... الليلة التى أطلقت عليها الرصاصة ... الليلة التى ودعها فيها الدوق ، وقال انه لن يراها بعد ذلك .

كان هناك سؤال آخر تمنت أن تلقيه ... سؤال يتردد على

www.elromancia.com

شفتيها ، ولكنها لم تستطع النطق به لأنها أشفقت من ألاتطيق الرد عليه .

ومع ذلك فقد كان سؤالاً بسيطاً : هل رحل الدوق ؟ ... هل غادر باريس ؟

إذا كان قد غادرها فمعنى ذلك أنها لن تراه بعد اليوم أبدا .

ثم تذكرت أنها أنقذت حياته ، فلو لم تلق بنفسها أمامه لقتلته الكونتيسة لأنها كانت تصوب المسدس الى قلبه .

فكرت لينا فى كل ماحدث . أحست بتعب ، فكفت عن التفكير ، وأطبقت عينيها وحاولت أن تنام .

قالت الراهبة وهى تدخل الغرفة وبين يديها فازة مملوءة بزهور الأوركيد .

– أرأيت الى هذه الزهور الجميلة ياسيدتى .

كانت المتحدثة أصغر الراهبتين اللتين تعنيان بها . كانت شابة صغيرة . وكان من الواضح أنها لاتزال تستمتع بماديات الحياة أكثر من زميلتها المسنة . وصاحت لينا :

– انها جميلة .

– يبدو أن فخامة الدوق يجد زهوراً جديدة كل يوم ويرسلها

اليك ياسيدتى . وماهو الاقليل حتى لانجد مكاناً نضعها فيه .

والواقع أن الغرفة بدأت تبدو كما لو أنها تعريشة من الزهور ، جعلت لينا تتذكر التعريشة التى قبلها فيها الدوق .

وفى الأيام القليلة التى تلت ، عندما بدأت تزداد قوة وتستطيع أن تفكر بوضوح ، أدركت أن الدوق يفكر فيها مثلما تفكر هى فيه .

بل خيل اليها أنها تسمع ، مع نبضات قلبها نبضات قلبه هو ، وخطر لها حتى قبل أن تدرك ذلك أن الزهور تذكرها به .

تصورته يتحرك فى الطابق الأرضى ، فى الغرف الفاخرة الرياش . وتمنت أن يرسل اليها كلمة أو رسالة . ولكن لم يأتها منه غير الزهور . وخطر لها أنها تكلمها عنه بدون كلام .

ولم يسعها فى الوقت نفسه الا أن تتساءل ماالذى يشغله عنها .

افترضت ، رغم أنها لم تشأ أن تسأل الراهبة أن كيتى وديزى وايفى قد عدن الى انجلترا ، أما اذا لم يكن الأمر كذلك فان من الغريب اذن انهن لم يزرنها أو يتصلن بها .

قالت لها الراهبتان ان الطبيب الجراح قال انها يجب أن تستريح تماماً ، بصفة خاصة ، وألا تأتى بأى جهد ، والواقع أنها

www.elromancia.com

لم تشعر بأنها تحسنت الا بالأمس فقط ، وبالرغم من أن ذراعها كانت لاتزال تؤلمها عند أقل حركة ، ولاسيما عندما تحاول النوم ، فانها شعرت بأنها أصبحت عادية تقريباً .

وعندما كانت الراهبة تغير الضمادات ، كانت تحاول ألا تنظر الى الجرح الفظيع تحت الكتف ، والذى بدا لها أنه سوف يشوه جسدها .

ولكن الجراح ، عندما أقبل فى ذلك الصباح طمأنها وقال كما لو أنه قرأ مايدور فى ذهنها .

– اننى فخور بك ياسيدتى ، فأنت مريضة مثالية ، وبعد سنة لن يخطر لك أبداً أنك أصبت بأى جرح .

سألته لينا : الن يترك أثراً ؟

ابتسم الطبيب وقال : لا أستطيع أن أعدك بذلك . ولكنه سيكون كنقطة بيضاء فى ذراعك ، وسوف يخفيها كما فستانك دائماً ، وحتى ولو ارتديت فستان السهرة .

سألته لينا : هل أنت متأكد ؟

أجاب الجراح : أؤكد لك أننى أقول الحقيقة ، وكما سبق أن قلت لك فأنت مريضة مثالية ، وأنا فخور بك حقاً .

ولأنه فرنسى ، فقد بدا لها صوته كأنه يغازلها ، فقالت فى عصبية :

– أشكرك ... أشكرك ياسيدى . كنت أخشى ان يشوهنى الجرح .

قال الطبيب : ستكونين جميلة ، كما كنت ، دائماً .

ورفع يدها الى شفتيه ، ثم غادر الغرفة قائلاً : شكراً ياسيدتى ، فقد كنت مريضة نموذجية ، فضلاً عن انك أجمل امرأة أجريت لها عملية فى حياتى .

اضطرم وجه لينا لمجاملته ، ولكنها تساءلت بعد أن انصرف ان كان الدوق يشاركه رأيه .

ثم ، ولأول مرة تذكرت ، فى شىء من الخوف أن كيتى لابد قد اطلعته على الحقيقة بخصوصها قبل انصرافها ، لأن اصابتها بذلك الجرح ومرضها ماكانا ليمنعا كيتى وديزى وايفى من الاستمتاع بانتقامهن من الدوق ، ذلك الانتقام الذى خططن له بكل حرص واهتمام .

وكما لو تتأكد من ذلك فقد دخلت الراهبة ومعها خطاب القته فوق الفراش وهى تقول :

– قيل لى أن أعطيك هذا عندما تتحسن صحتك ياسيدتى ، وعندما يأذن الطبيب بذلك . وأعتقد أنك تودين قراءته .

www.elromancia.com

وما أن رأت الخطاب حتى خفق قلبها وقد خطر لها أنه قد يكون الشخص الوحيد الذى تتمنى أن تسمع عنه .

ولكنها عرفت من التى أرسلته عندما رأت الخط ، وقالت للراهبة فى صوت مضطرب : هل لك أن تفضيه ؟

فضته الراهبة ، وأخرجت منه ورقة رأت لينا أنه الشيك الذى وعدتها كيتى به اذا أجادت القيام بدورها . وقالت الراهبة عندما رأته .

– سأضعه فى درج طاولة الزينة ياسيدتى ، ويمكنك أن تأخذيه عندما تتعافين .

ثم سارت فى الغرفة وأخذت صينية فوقها بعض الأقداح الفارغة وخرجت . واضطجعت لينا الى الخلف ، فوق الوسائد ، وراحت تفكر ، كان من الصعب عليها أن تواجه الحقيقة ، ولكن كان لابد لها من أن تفعل ، فقد ارسلت كيتى الشيك اليها ، ومعنى ذلك أن مهمتها أنتهت ، ويتعين عليها الآن أن تبحث لها عن عمل آخر عندما تعود الى لندن .

سوف يتيح لها الشيك أن تعيش فترة قبل أن تجد عملاً ، ولكنها أحست فى الوقت نفسه بأن غريزتها تدفعها الى أن تمزقه .

اضطرم وجهها من فرط ارتباكها واضطرابها وهى تفكر فى انتصار كيتى ، وهى تعترف لك بكل بساطة بأنهن خدعنه ، وأنه كان من الحماقة بحيث غازل أبنة فلاح معتقداً أنها من سيدات المجتمع الارستقراطى ، واستطاعت أن تتصور سرور كيتى بانتقامها ، كما تصورت ان ايفى وديزى كانتا برفقتها وهى تعترف له بذلك ، ليس لاذلاله فحسب ، وانما لتحقيره كذلك .

ولكنها لم تلبث أن أدركت أنها ما كانت الا لتفسد كل ما بينهما وتدمر حبهما لو أنها أخبرته أو أطلعته على أى شىء .

وتنهدت ، وهى تشعر بأنها على غير قصد منها حطمت شيئاً كان كاملاً وهشاً فى الوقت نفسه ، كزهور الأوركيد التى يرسلها لها . واتهمت نفسها قائلة :

– ما كان يجب أن آتى الى باريس أبداً .

ثم عرفت أنه مهما حدث فإنها لن تندم أبداً على لقائها بأعظم الرجال روعة فى الدنيا بأسرها ، ومعرفتها بأنه لفترة وجيزة جداً أحبها كما أحبته هى .

ولاريب أن يفكر فيها الآن على أنها امرأة كاذبة وخادعة ، جاءت اليه لتخدعه بزعمها أنها متزوجة ... امرأة كان مستعداً ، فى مثاليته ، على أن يتركها وألايراها أبداً لأنه وثق بها ووصفها

www.elromancia.com

بأنها طاهرة وبريئة .

وأدركت عندئذ لماذا لم يرسل اليها كلمة أو يحاول أن يراها .

يمكنه أن يرسل اليها زهوراً ، ولكن ان دل ذلك على شيء فإنما يدل على امتنانه فحسب لأنها انقذت حياته من رصاصة اطلقتها عليه امرأة مجنونة .

لم تكن جديرة بحسن التفكير والادراك . وخدعت نفسها عندما خيل اليها أنها تسمع خفقات قلبه ... لايشعر نحوها الآن الا بالاحتقار والازدراء ، وربما بشيء أكثر ، فقد وضعته في موقف حرج وجعلته هدفا لسخرية وتهكم النساء اللاتي أردن الانتقام منه .

واذا ألفت نفسها وحدها في الغرفة تملكها اليأس ، وتمنت لو أن تموت أو أن تهرب وتختبيء في مكان لايجدها فيه أحد .

ومرت بها لحظة وهي ترسم الخطة لكي تغادر البيت خلسة وتختفي ، ولكنها لم تلبث أن أدركت أنه لايمكنها أن تفعل ذلك لأن ساقيها ليستا من القوة لكي تحملاها . وسألت نفسها : ماذا أفعل؟ ... ماذا أفعل ؟ ...

واذ رأت أن اليأس لابد قاتلها لو أنها استسلمت له فكرت

أنه قد لايكون هناك داع لأن تفعل أي شيء ، فلا يرضى الدوق أن يراها بعد ماحدث . وعندما تتحسن صحتها بما يكفي سوف يتدبر الأمر لترحيلها واعادتها الى لندن . ولن يلتقيا بعد ذلك الى الأبد .

كان عذابها شديداً . لم تتعرض لمثله أبداً قبل أن تعرف أنها خدعته . وأحست بالدموع تتصاعد الى عينيها وتجرى على خديها .

وسمعت الباب يفتح ، وفكرت أن احدى الراهبتين هي التي أقبلت ، فأسرعت تبحث عن منديل تحت وسادتها ، ولكنها لم تجد شيئاً فأطبقت عينيها على أمل ألا تلحظ الراهبة دموعها . وسمعت صوتاً دافئاً يقول :

– هل تبكين يالينا ؟

وأحست بقلبها يثب ويركض بين ضلوعها .

واذ فتحت عينيها ، وبدا كأن نورا سماويا يملأ الغرفة ... وان النور كان ساطعا بحيث بهرها ... كان الدوق واقفا بجوارها ينظر اليها ولهث .

وأرادت أن تتكلم ولكن الكلام استعصى عليها . فجلس الدوق بجوارها وبقي مدة طويلة يتأملها قبل أن يقول : – لم يسمح

www.elromancia.com

لى الطبيب بالمجيء لرؤيتك قبل اليوم . وقد عبر لى عن مدى سروره لتحسن حالتك . ولهذا لم أتوقع أن أراك تبكين .

- اننى ... اننى آسفة .

قال الدوق : أنا الذى يجب أن يقول ذلك . هل تتألمين ؟

- كلا ... كلا ... ان ذراعى أحسن .

- هكذا قيل لى . واعرف انك تألمت ولكننى أؤكد لك أننى تعذبت كل العذاب لأنك أصبت بتلك الأصابة الخطرة بسببى أنا .

كان من الصعب على لينا أن تصغى لما يقول . وكل ماعرفته أن وجوده معها أمر رائع ، وأنها تستطيع أن تراه وأن تعرف أنه لم يرحل ، وفكرت فى اهتياج شديد : يجب أن أتذكر ... كل ماينطق به ... لعله سيقول لى بعد لحظة ... الوداع ... ولكننى على الأقل رأيته مرة أخرى .

رأت أنها نسيت كم هو جذاب ووسيم ، وكيف أنه يختلف عن أى رجل آخر . وجعلت نظرة عينيه الرعشة تسرى فى كيانها .

تعذر عليها أن تصف كل ذلك بالكلمات ، ولكن كل ماعرفته هو أنها أحبته كل الحب ... أحبته حباً جارفاً ... وتعذر عليها أن تقول له ذلك رغم أنها كانت تعرف أنه لايود سماع شىء منه .

وكان الدوق لايزال يحدق فيها . وأدركت أنها لابد تبدو

مختلفة الآن عن أى وقت رآها فيه ، فان الراهبة كانت قد فصلت شعرها الى قسمين وسرحته فى ضفيرتين طويلتين ربطتهما بشريطين زرقاوين وتهدلتا فوق نهديها . وأحست بأنها تبدو بخطرها هذا كما لو أنها فتاة مراهقة . واذ خيل اليها أن الدوق يحرجها بشدة أحست بالخجل وأسبلت أهدابها لأنها لم تحتمل نظرته الثاقبة .

- كيف أمكن أن تواتيك كل تلك الشجاعة ، وتنقذى حياتى مجازفة بحياتك .

أجابت : لم .. لم أفكر فى الأمر ... أردت ... أردت أن أنقذك لا فحسب .

- لماذا ؟

كان الجواب واضحاً ، ولكنها أحست بأنها لايجب أن تذكره

وساد صمت قصير ثم قال : انك انقذتنى لأنك تحبيننى . والآن ، وقد عرفت كل شىء ياحبيبتى فلا شىء يحول بينى وبينك ... وبين أن أقول لك اننى أحبك ... وأسألك متى توافقين على أن نتزوج .

نظرت لينا اليه مشدوهة ، وبها إحساس بأنها تسمعه جيداً

www.elromancia.com

، وقالت :

– هل ... هل ... تطلب الزواج بى ؟

ابتسم الدوق وقال : لم أعتقد لحظة واحدة فى وجود ذلك الزوج العجوز الذى اهملك لكى يمضى للصيد ، فما من رجل ، مالم يكن أعمى وأصم وأحمق ، يسمح لك بالسفر الى فرنسا دون أن يرافقك ليحميك من امثالى من الرجال .

كان فى صوته رنة من المرح . وبدا عليه وهو يتكلم أنه فى منتهى السعادة ، بحيث خيل اليها أنه أصبح أصغر سنا . ونظرت اليه لحظة وقد الجمت السعادة لسانها . وقالت أخيراً :

– ماذا قالت لك كيتى عنى غير ذلك ؟

– وهل هذا يهم ؟

– أريد أن أعرف .

قالت لى كيتى ، انها هى وديزى وايفى خططن للقيام بانتقامهن ، وخطر لهن أننى ، بسبب جمالك قد أقع فى هواك . وهذا ماحدث .

حبست لينا أنفاسها ، ثم قالت : انهن اردن إذلالك .

قال الدوق وفى صوته نفس رنة المرح : أوضحن لى ذلك . كنت فخوراً بنفسى دائماً ، وازهو بأننى أعرف حقيقة أية امرأة

مهما كانت ، وأستطيع أن أعرف أصلها من أول نظرة وقد سررن جداً لأننى كنت مخطئاً فى هذه النقطة.

تمتمت لينا ببضع كلمات غير مفهومة ، ثم قالت فى صوت بدا لو أنه ليس صوتها :

– أمازلت تريد أن تتزوجنى ؟ ... رغم أننى قبلت ... نقوداً لكى أخدعك ؟

قال الدوق : وماذا كنت تستطيعين غير ذلك ؟

رآها تتثرثر . وعرف أنه خطر لها أنه يطلب منها الزواج لمجرد الامتنان لأنها انقذت حياته فابتسم ابتسامة ضاعفت من جاذبيته وقال :

– هل أنت من الحماقة بحيث تظنى ذلك ؟ لو أننى لا أشعر نحوك الا بالامتنان ياحبيبتى لأعطيتك شيكاً بمبلغ كبير أرى أنه يساوى حياتى ولأرسلتك الى انجلترا .

كان صوته عميقاً ، واستطرد : ولكنك تعرفين شعور كل منا نحو الآخر ولا أهتم بأصلك أو فصلك ، وانما اهتم بك أنت فحسب

تنفست لينا بقوة ، وأحست مرة أخرى كما لو أن الغرفة امتلأت بنور سماوى . لم تكن بحاجة لكى تتذكر الحديث الذى تم

www.elromancia.com

بينها وبين جدته بخصوص توقع العائلة أو بخصوص الخلفية التى يبحث عنها كل فرنسى ارستقراطى فى المرأة التى يتزوجها . ولكنها فكرت فيما قالته كيتى له عنها من انها ابنة فلاح كانت تبحث عن وظيفة خادمة . ومع ذلك فانه قال عنها أنها طاهرة وبريئة . وهاهو يقول لها الآن انه يريد أن يتزوجها رغم كل شىء .

مدت يدها لكى تتحقق من وجوده ثم قالت : لا أستطيع أن أصدق ... أظن أننى أحلم ... أو أننى مازلت غائبة عن الوعى.

قال : سأثبت لك أنك صاحية . ولكن يجب أن ننتظر أيتها الغالية حتى تتحسن صحتك تماماً قبل أن أتزوجك . غير أننى أشكر الله على أنه جمعنا ، وعلى أنه ليست هناك أية عوائق أمامنا.

واستطرد يقول قبل أن تنطق : عندما قلت لك أنك طاهرة وبريئة لم أخطىء . وعرفت عندما قبلتك أن مامن أحد قبلك قبلى .

وبحثت عيناه عن عينيها قبل أن يسأل : هل هذا صحيح ؟... وهل كنت أول من قبلك ؟

أجابت : نعم ... نعم .... ولكن هناك شىء يجب .. أن أخبرك به .

– هناك أشياء كثيرة يجب أن يطلع عليها كل منا للآخر .

ولكن لايجب أن أرهقك ايتها الغالية . أننى وعدت الراهبتين أننى لم أبق غير خمس دقائق ، ولم أوف بوعدى ، ولهذا يجب أن أتركك ، ولكننى سأعود بعد الظهر .

بدأت تقول : كلا ... أرجوك ...

ولكنه لم يصغ اليها . وانما انحنى فوقها ولمس شفتيها بشفتيه .

كانت قبلة رقيقة جداً كما لو أنه يقبل طفلة ، ولكنها كانت بالنسبة لها من الروعة والجمال كما كانت قبلته الأولى . غير أنها أحست هذه المرة أنه يحملها الى سماء خاصة بهما هما فحسب .

واذ ارتعشت شفتاها تحت شفتيه قبل يدها . وقبل أن تستطيع النطق ، بل قبل أن تقول له كم تحبه كان قد خرج من الغرفة وتركها وحدها .

واعتمدت بظهرها على الوسادة وهى تفكر أن ذلك لايمكن أن يكون صحيحاً . وانها لابد تحلم بأن الدوق ، بعد أن صدق ماقالته له كيتى يطلب منها أن تكون زوجته .

وعرفت عندئذ أن حبها له ، اذا كان من القوة بحيث جازفت بحياتها من أجله ، فان حبه لها هو الآخر من القوة بحيث يتزوجها رغم أن زواجه منها سيحطم التقاليد التى شب عليها . وقالت

www.elromancia.com

تحدث نفسها : اننى أحبه ... أحبه ... اواه ياالهى . كيف أستطيع أن أشكرك لأنك جمعت كلا منا بالآخر .

نامت ساعتين بعد الغداء ، ورأت فيهما فى المنام أن شفتى الدوق على شفتيها ، وأنه يطوقها بذراعيه . وعندما استيقظت وجدت الراهبة الشابة تضع شالاً من الشيفون فوق كتفها الجريحة أخفى ضماداتها فسألتها : من أين أتى هذا ؟

أجابت : أعطانيه فخامة الدوق لكى أقدمه لك . أظن أنه أدرك أنك لاتريدين أن يرى أحد ضماداتك .

ابتسمت لينا . لم تستطع أن تصدق أن أى رجل يمكن أن يكون بهذه المراعاة أو بهذا الادراك . ومشطت الراهبة شعرها بعد أن جمعت الضفيرتين ، لأن لينا لم تشأ أن تبدو كما لو كانت فتاة مراهقة ، وارسلته الى الخلف بعقدة صغيرة ، خلف عنقها .

وقالت الراهبة فى اعجاب : انك أشبه بقديسة أو بملاك .

شكرتها لينا . وكانت الستائر قد رفعت لادخال قليل من الشمس وجلست فى فراشها فى الغرفة ذات السقف المزين بكيوبيد والهة الجمال ، واعتمدت بظهرها على الوسائد المطرزة بشعار الدوق ، وأحست بأنها محاطة بالحب .

وطلبت من الرهبة فى اللحظة الأخيرة أن تأتيها بالماسة

المقطوعة على شكل نجمة التى اهداها لها الدوق . وقالت الراهبة وهى تشبك النجمة فى أعلا الشال الشيفون :

– اننى وضعت فى درج الطاولة كل المجوهرات التى جىء بها مع ثيابك من قصر الكونتيسة .

ورأى الدوق النجمة بمجرد أن دخل ، فأخذ يدها فى يده وقال :

– أصبحت نجمتى الآن فى متناول يدى .

قالت لينا : ليس بعد .. مالم تتمن أنت ذلك .

– اننى أريد أن ألمسها ... وأن أظل ممسكا بها طوال حياتى .

ونظر اليها ثم اردف : عندئذ مارأتيك صباح اليوم رأيت من المستحيل أن تكون هناك امرأة بمثل جمالك . ومع ذلك ، فكلما أنظر اليك أجدك أجمل من أية مرة رأيتك فيها ، فماذا فعلت بى ياالينا لكى أحس هذا الاحساس ؟

– ماذا تعنى ؟

كان من المستحيل عليها أن تتكلم ، لأنه ، منذ أن دخل الغرفة أحست بمثل ذلك الاحساس الغريب الذى راح يعصف بها . لم تستطع إلا أن تنظر اليه وقد اتسعت عيناها ، شاعرة

www.elromancia.com

بأن حبها يتدفق نحوه ، وأنه لايدرى مدى حبها له .

جلس الدوق على حافة الفراش ، كما فعل فى الصباح وقبل أناملها ، اصبعاً أصبعاً ، ثم أطبق بشفتيه على كفها . واذ أحس بالرعشة تسرى فى كيانها ازاء الحاح فمه ضحك فى رفق وانحنى لكى يقبل شفتيها . وادركت عندئذ أنهما متقاربان ، وأن كلا منهما ملتصق بالآخر بحيث لم تكن هناك حاجة لكلام أو تفسير

كانا جسداً واحداً . وما كان فى امكان طقوس الزواج أن تفعل بهما أكثر من ذلك . وقالت : اننى أحبك .

وأجابها الدوق : كما أحبك أنا . وأنا أشكر الله ، منذ أن رأيتك صباح اليوم اذ جمعنى بك .

همست : وهذا ما أفعله أنا الأخرى بالذات .

ابتسم الدوق وقال : بالطبع . وكنت أعلم ذلك .

وارتد الى الخلف شيئاً ما وهو لايزال ممكساً بيدها وقال :

- ماسوف أقول لك ياحبيبتى ، رغم أن من الصعب تفسيره ، هو أننى كنت أبحث عنك دائماً ، وأنتقل من خطأ الى آخر حتى وجدتك .

عرفت لينا أنه يتحدث عن النساء الأخريات اللاتى أحبهن

واللاتى ، رغم حبهن له ، ملهن وهجرهن كما هجر ديزى وايفى وكيتى . وقالت :

- أرجوك ... لاحاجة بك الى تفسير أى شىء .

قال : أعرف ذلك . ولكن لأن بعض الناس قد يحاولون ايلامك ، ويشيرون الى سمعتى ويلمحون لك أننى أحببت كثيرات قبلك ، أريد أن تتأكدى تماماً من أن حبى لك مختلف ... مختلف تماماً وأن تفهمى أن هذه هى الحقيقة التامة .

- أننى ... أننى أفهم .

واستطرد : كانت رحلة طويلة ، وطويلة جدا بحيث خطر لى مراراً أنها لن تنتهى ، ولكنها أنتهت الآن ، ووصلت الى بر الأمان الذى يصبو اليه كل امرىء . وحبك لى نعمة لا أستحقها ياغالية .

أطلقت لينا صيحة صغيرة تدل على سعادتها وقالت : كيف تستطيع أن تقول لى هذه الأشياء الجميلة ؟

- أريد أن أقولها مراراً وتكراراً .

- لدى شىء هام ... أريد اطلاعك عليه .

أجاب : لارغبة لى الا فى الاستماع اليك . ولكننى أريد أن أقبلك أولاً .

www.elromancia.com

حررت لينا يدها من يده ، ووضعتها على صدره لكى تبعده عنها :

– انك قبلتنى صباح اليوم بحيث لم أستطع أن أفكر فى شىء آخر غير حبنا ... والآن أرجوك أن تصغى الى .

قال الدوق : لا أتصور أن هناك شيئاً أهم من رغبتى فى تقبيلك . ومع ذلك ، اذا كان يروق لك ذلك فسوف استمع اليك ، ولكن أسرعى ياحبيبتى لأننى أتعذب بجلوسى هنا وأنا أشاهد جمالك وحسنك الطاغى ولا أجد ضرورة للكلام .

أصرت قائلة : بل لكلامى ضرورة .

– أننى مصغ اليك .

كانت عيناه على شفتيها وهى تتكلم . ولأنه كان قريباً جداً منها ، ولأنه أهاج مشاعرها ، فقد كان من الصعب عليها التركيز ... وقالت أخيراً :

– أظن أن كيتى قالت لك انها كانت تبحث عن خادمة تجيد التحدث باللغة الفرنسية ، واننى كنت قد وصلت لتوى من الريف ، ولم يسبق لى أن اشتغلت خادمة قبل ذلك .

وساد صمت قصير عرفت لينا أثناءه أن الدوق يحاول أن يتذكر ماقالته له كيتى بالتدقيق . وقال أخيراً :

– نعم . هذا ماقالته لى ، رغم اننى لم أكن مهتما اطلاقاً بماضيك .

– هل ذكرت لك اللقب الذى تقدمت به اليها ؟

قال الدوق كما لو أنه يساير طفلة : دعينى أتذكر ... أظن ذلك . نعم . أنا واثق أنها قالت ان لقبك كرومر ، وهو لقب كنيب لفتاة جميلة مثلك . واسم لينا أجمل بكثير .

– كرومر لقب مربية لى . أما أسمى الحقيقى فهو لينا كريسنجتون كومب .

قال الدوق : كريسنجتون كومب ؟ اننى سمعت هذا الأسم قبل ذلك . وانها حقا لمصادفة عجيبة ، فاننى ، عندما كنت فى أكسفورد ، رأيت على الجدار الذى كنت أجلس أمامه صورة رجل يدعى جورج فردريلا كريسنجتون كومب ... هل كان قريباً لك ؟

– كان جدى .

حملق الدوق فيها ثم قال : اننى لا أفهم .

– الايرل الحالى هو أبى ... وقد هربت من البيت .

– لماذا ؟

– لأنه أراد أن يزوجنى برجل بغيض عجوز كان كل اهتمامه منصبا على أن أكون زوجته .. لا لشىء الا لكى يتقبله

مجتمع الاقليم .

صاح الدوق ، ياالهى ! ... هربت ؟ ولكن كيف تعرضين نفسك لمثل هذه المخاطر ياحبيبتى ، وتمضين الى لندن وتلتحقين بوظيفة خادمة ؟

- كنت أبحث فى البداية عن وظيفة مربية أطفال لكى أكسب قوت يومى ، ولأنه خطر لى أننى أستطيع الاختفاء بهذه الوسيلة ، ولكننى عندما ذهبت الى مكتب التخديم علمت ان الليدى بيرشنجتون تبحث عن خادمة تجيد اللغة الفرنسية .

- أكاد لا أستطيع أن أصدق ذلك .

- وأننى أشعر بالخجل لأننى حاولت ذلك . ولكن عندما قدمن لى مائتى جنيه رأيت أن من الغباء أن أرفض ، ثم أن الأغراء كان كبيراً لأننى كنت أريد أن أرى باريس .

قال الدوق : أستطيع أن أفهم ذلك ، وأرجو ألاتعرضى نفسك يانجمتى الصغيرة الجميلة لمثل هذا الموقف مرة أخرى .

وكان ملحا فى قوله هذا ولكنه ضحك فجأة وقال : لم يتحقق اذن انتقام كيتى ، لأننى أعتقدت منذ البداية أنك غير ماتزعمين .

قالت لينا فى اكتئاب : اننى أخطأت بقبول مثل ذلك الدور ، وأشعر الآن بالخجل لأننى قمت به .

قال الدوق : لاداعى لذلك ، فالمهم الآن أننا التقينا ياحبيبتى . ومع ذلك فما كنت الا لأتزوجك حتى ولو كنت أبنة كناس . ثم عائلتى سوف يسرها أن يكون أبوك نبيلاً انجليزياً .

قالت لينا مترددة : ولكن أخشى أن تكون جدتك لاتزال تظن أننى ..

ضحك الدوق ثانية وقال : على فكرة ... ان جدتى لاتزال تقيم بالقصر لحمايتك والعناية بك . وهى فى هذه اللحظة بالذات شاكرة لك لأنك أنقذت حياتى بحيث انك عندما تتحسنين بما فيه الكفاية لكى تريها ، لن تشكرك كثيراً فحسب وانما سترحب بك كل الترحيب بصفتك زوجتى .

سألته لينا : يجب أن أسألك ... ماذا حدث للكونتيسة ؟

نطقت سؤالها هذا بصعوبة كبيرة لأنها كانت لاتزال تسمع صوت الكونتيسة المجنونة ، وتشعر بالرعب الذى اجتاحها عندما رأتها تسدد مسدسها نحو قلب الدوق . وقال هذا الأخير فى هدوء :

- إننى ألوم نفسى لأنك تألمت على يديها . كانت مضطربة العقل شيئاً مادائماً . والواقع أنه عندما مات زوجها بعد زواجهما بسنة ثم اتفاق العائلة على عدم البحث عن زوج آخر ، لأنها لم تكن

www.elromancia.com

فى حلة طبيعية تماماً .

ولزم الصمت لحظة ثم قال : ومع تقدمها فى السن ، بدا أنها تحسنت قليلاً فيما عدا مايتعلق بى ، فقد تسلطت عليها فكرة أنها يجب أن تتزوجنى ، وهذا أمر لم أكن أفكر فيه أبداً ، ولم أعره أى اهتمام ، وهذه هى الحقيقة ياحبيبتى ،

ونظر الدوق الى وجه لينا كما لو أنه أراد أن يتأكد من أنها تصدقه . وعندما تأكد له ذلك استطرد يقول :

– ولكننى كنت أعرف ، على عكس بقية الاسرة ، ان حالتها تزداد سوءا ، وأنها مصممة على أن أتزوجها . وعندما أكون وحدى تغدو عنيفة وهستيرية فى أكثر الأحيان .

تمتمت لينا : كان ذلك فظيعاً ... بالنسبة لك .

وقال الدوق : وبدأت أدرك أنه لابد من عمل شىء حيال ذلك. وعندما بدأت تهتم بالحفلة التى كنت أعدها خطر لى أن ذلك قد يساعدها ، وقبلت اقتراحها بأن تقيم حفلة عشاء ، كما فعل بعض أفراد الأسرة .

قالت لينا وقد تذكرت ماقالته الكونتيسة عن كيتى : ومع ذلك فقد عملت على أن تقيم كيتى معها .

قال الدوق : كانت تلك غلطة جدتى ، فانها لم تكن تعرف

الحقيقة بخصوص ايفون ، ولهذا تصرفت أثناء غيابى عن باريس ، وعندما عدت كانت قد ارسلت بطاقات الدعوة الى لندن .

تمتمت لينا : ولهذا خطر لك ... ان تترك الأمور كما هى .

قال : وكان ذلك اهمالا شديداً منى ... أو ربما لأننى كغيرى من الرجال ، اردت أن أتجنب الشجار .

وتنهد ثم استطرد يقول : لعل خطيئة النسيان أكثر الخطايا التى تستوجب العقاب ، وبهذه المناسبة بالذات ، ولأننى كنت أحمق حقاً ... كدت أن أفقدك .

كان فى صوته رنة دلت لينا على عمق احساسه بما حدث ، ولكن أذا أصبح الأمر أهمية له الآن فقد سألته قائلة :

– وهل أنت واثق ... واثق تماماً ... أنك تريد الزواج بى .

أجاب الدوق : كل الثقة . ومامن شىء فى الدنيا ... بل مامن أحد يمكن أن يحول بينى وبين ذلك .

– سيكون يوم زواجنا ... أجمل يوم فى حياتى .

– وسيكون أجمل أيام حياتى أنا الآخر ، وسأظل أعبر ذلك عن سعادتى وحبى لك حتى آخر الدهر .

واقترب منها قليلاً وهو يقول : والآن ، هل أستطيع أن أقبل ليدى لينا كريسنجتون كومب ؟

www.elromancia.com

ضحكت لينا ضحكة قصيرة . وعاد يقول :

- كلا . ليس هذا صوابا . انما أقبل نجمة لم تكن فى متناول اليد ... نجمة كنت أعتقد أنه لايمكننى الحصول عليها ، وأنه يجب أن أتركها بعيداً ... فى السماء لطهارتها ونقائها ... حتى لاأدنسها .

- كلا . اننى لم أعد فى السماء ... وانما أنا هنا معك .

كان فى صوتها رنة من الجوى لم تفت عن الدوق فوضع ذراعه حولها فى رفق ، حتى لايؤلمها ، ولكن شفتيه كانتا ضاريتين على شفتيها ملحتين ومشبوبتين .

عرفت وهو يقبلها أن هذه هى نار الحب التى تكلم عنها .

وأحست بأنها تتغلغل فى كيانها وفى أعماق أعماقها وأنها ترتفع إلى صدرها والى شفتيها لكى تلتقى بناره هو .

كان هذا هو الحب كما وصفه .. حب قوى ، مسيطر ، لايمكن مقاومته ، ولاحيلة لهما ازاءه .

كان حبا يتغلغل فيهما فى نور سماوى ، ويحملهما الى سماء خاصة بهما الى الأبد .

* * * *